الاغتراب في ديوان مزاجها زنجبيل للشاعر فواز اللعبون

بقلم الدكتورة

أماني بنت محمد بن عبدالعزيز الشيبان

الأستاذ المساعد في قسم الأدب بكلية اللغة العربية

في جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ـ المملكة العربية السعودية

المجلد السادس والعشرون للعام ٢٠٢٢م

الجزء الأول (إصدار يونيو)

رقم الإيداع بدار الكتب المصرية ٦٩٤٠/ ٢٠٢٢م

بسم الله الرحمن الرحيم

الاغتراب في ديوان مزاجها زنجبيل للشاعر فواز اللعبون

أماني بنت محمد بن عبدالعزيز الشيبان

قسم الأدب ـ كلية اللغة العربية ـ جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ـ المملكة العربية السعودية .

البريد الإلكتروني : moofd@yahoo.com

الملخص

سعى هذا البحث إلى دراسة الرؤية الاغترابية في ديوان «مزاجها زنجبيل» للشاعر السعودي فواز بن عبدالعزيز اللعبون.

وقد حفل ديوان «مزاجها زنجبيل» بنصوص اغترابية فاقت ثلثي القصائد المودعة فيه، مما جعل الديوان مدوَّنة ثرية خدمت عنوان البحث.

وقد اشتمل البحث على تمهيد تضمن تعريفاً بالشاعر، وتعريفاً بالاغتراب، أما الفصل الأول الذي جاء بعنوان تجليات الاغتراب فقد تكوّن من ثلاثة مباحث هي: في الشعر التأملي، وفي الشعر الوجداني، وفي الشعر الاجتماعي، وجاء الفصل الثاني المعنون بأنماط الاغتراب في مبحثين هما: الاغتراب الزماني، والاغتراب المكاني، ثم انغَلَقَ البحث بخاتمة تضمنت أبرز النتائج والتوصيات، وثَبَت بالمصادر والمراجع.

وكان المنهج الرئيس المعتمد في هذا البحث هو المنهج الموضوعاتي؛ لكونه الأقدر على سبر أغوار الاغتراب وتجلياته وأنماطه، هذا إلى اتساع المنهج لبعض وظائف المنهجين الإنشائي والنفسي .

الكلمات المفتاحية : الاغتراب ، ديوان مزاجها زنجبيل ، الشاعر فواز اللعبون.

الترقيم الدولي الإلكتروني
ISSN 2636 - 316X

الترقيم الدولي
ISSN 2356-9050

Alienation in the Diwan of "mzajuha zanjabil" by the Poet Fawaz Allaboun

Amani Mohammed Al Shaiban
Assistant Professor in the Department of Literature, Faculty of Arabic Language, Kingdom Saudi Arabia .
Email: moofd@yahoo.com

Abstract

This research sought to study the Alienation vision in the collection of "mzajuha zanjabil" by the Saudi poet Fawaz Abdulaziz Allaboun.

The Diwan "mzajuha zanjabil" was filled with alienation texts that exceeded two-thirds of the poems deposited in it, which made the Diwan a rich blog that served the title of the research.

The research included a preface that included a definition of the poet, and a definition of alienation. The first chapter, which was titled Manifestations of Alienation, consisted of three sections: in contemplative poetry, in emotional poetry, and in social poetry. The second chapter, entitled Patterns of Alienation, came in two sections: temporal, and spatial alienation, then the research closed with a conclusion that included the most prominent results and recommendations, and confirmed the sources and references.

The main method adopted in this research was the thematic method. Because it is the best able to explore the depths of alienation and its manifestations and patterns, this is due to the expansion of the curriculum for some of the functions of the structural and psychological approaches.

Keywords : Alienation, Diwan temperament ginger, poet Fawaz Al-Labon .

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

أحمد الله الأجَلّ على ما أنعم وأجزل، وأصلي وأسلم على معلم النـــاس الخير نبينا الأمين ﷺ، وعلى آله وصحبه أجمين، وبعد:

فمنذ أكثر من عقدين ولي إلمام بنصوص الشاعر فواز اللعبون، وكنت شاهدة عيان على تنقلاته الأدبية شكلاً ومضمونا، وعلـــى تنـــوع حضـــوره الشعري في وســـائل الإعـــلام المســـموعة والمرئيـــة والمقـــروءة، وفـــي الإصدارات، وأيضاً في نوافذ التواصل.

وكان أكثر ما يستوقفني في نصوصه ملمحان، الأول نزوعه الاغترابي بمناسبة ودون مناسبة، والأعجب من ذلك أن هذا النزوع في شعره يتســـع حتى للمضامين التي لا محل فيها للاغتراب، والثاني كثرة استدعائه التـــراث في شعره، ولعلي أنشط لهذا الملمح في بحث قادم.

لقد قرأت كثيراً عن الاغتراب في كتب النقـــد وكتـــب علمـــاء الـــنفس والاجتماع، وبدا لي أن تَقَصِّيه في إنتاج شاعر لم يغترب عن وطنه ولا حتى عن مدينته التي ولد فيها سيضيف جديدا، وهذا ما تأكـــد لـــي وأنـــا أتأمـــل نصوص الشاعر من حين إلى آخر.

وقد صدر للشاعر أكثر من إصدار شعري، غير أني آثرت اختيار ديوان «مزاجها زنجبيل» لكون الاغتراب حاضراً في أكثر من ثلثي نصوصه، وتَمَثَّلَ هذا الحضور في قرابة ثلاثين نصّاً من بين ثلاثة وأربعين نصّاً هي مجمـــوع ما تضمنه الديوان، هذا إلى تحققي من كون الموضوع لم يبحث من قبل، ولا سيما أن الديوان حديث الصدور.

وكل ما وقعتُ عليه من دراسات حول إبداع الشاعر لا صلة له بالاغتراب، ومن هذه الدراسات:

١. التغريدة الشعرية وأثرها على المشهد الأدبي الرقمي: فواز اللعبون أنموذجا، د. إيمان صبحي دلول، بحث محكم منشور في مجلة كلية الآداب بالجامعة الإسلامية في غزة، ١٤٣٩هـ- ٢٠١٨م.

٢. مركزية الذات وتنوع الآخر في ديوان تهاويم الساعة الواحدة لفواز اللعبون، د. حمد فهد جنبان القحطاني، بحث منشور في مجلة جامعة الأميرة نورة بنت عبدالرحمن، ١٤٤١هـ- ٢٠١٩م.

٣. السجال الشعري في تويتر: فواز اللعبون أنموذجا، أ. د. بدرية بنت إبراهيم السعيد، منشور ضمن بحوث المؤتمر العلمي بكلية اللغة العربية في الجامعة الإسلامية عام ١٤٤١هـ- ٢٠١٩م.

٤. عابر الأزمنة: تأملات في سجل قُدْموس، فاطمة بنت عبدالله، دار المفردات، ١٤٤١هـ- ٢٠٢٠م.

٥. تمظهرات رؤية ٢٠٣٠ في الشعر السعودي: قصيدة سِفْر الرؤية للشاعر فواز اللعبون نموذجا، د. زاهر بن حسين الفيفي، بحث منشور في حولية كلية العربية بجامعة الأزهر، العدد ٢٥، عام ١٤٤٢هـ- ٢٠٢١م.

٦. جماليات اللغة الشعرية عند فواز اللعبون: قراءة في ديوان مزاجها زنجبيل، أ. د. عبدالرحمن بن أحمد السبت، بحث منشور في مجلة العلوم الإنسانية والإدارية بجامعة المجمعة عام ١٤٤٣هـ- ٢٠٢٢م.

وأستطيع إيجاز أسباب اختيار هذا العنوان بهذه المدونة في الآتي:

١. وفرة النصوص الاغترابية في مدونة الشاعر.

٢. قوة حضور النزعة الاغترابية في مختلف مضامينه الشعرية.

٣. إدراكي أن الاغتراب قد يكون نوعاً من الترف الإبداعي، ولا سيما أن المحيط بمحيط الشاعر قد يَعجَب من حدة اغترابياته رغم استقرار أحواله.

ولعل أبرز أهداف دراستي تكمن في الآتي:

١. التعريف بشاعر جدير بالدراسة والبحث لما في شعره من أصالة وتنوع.

٢. محاولة كشف أسرار الاغتراب الذي أصبح كالظاهرة لدى شعراء العصر الحديث.

٣. الوقوف على تجليات الاغتراب في مدونة متنوعة المضامين.

٤. كشف أنماط الاغتراب التي يشعر بها الشاعر القارّ في وطنه.

ولأن دراستي تحاول الوقوف على رؤية تتوغل في موضوعات الشعر اخترت المنهج الموضوعاتي الذي بدا لي أنه الأقدر على سبر أغوار الاغتراب وتجلياته وأنماطه، هذا إلى اتساع المنهج لبعض وظائف المنهجين الإنشائي والنفسي.[١]

---

(١) للمزيد من وظائف المنهج الموضوعاتي وتطبيقاته يُنظر:

- سحر الموضوع: عن النقد الموضوعاتي في الرواية والشعر، د. حميد لحمداني، منشورات دراسات سال، فاس (المغرب)، ط: ٢، ٢٠١٤م، ص: ٧.
- النقد الموضوعاتي، سعيد علوش، شركة بابل، الرباط، ط: ١، ١٩٨٩م، ص: ١٠.

وجاءت دراستي في مقدمة، وتمهيد تكون من تفريعين: إضاءة على الشاعر، وحدود الاغتراب، وجاء الفصل الأول بعنوان تجليات الاغتراب، وتكون من ثلاثة مباحث هي: في الشعر التأملي، وفي الشعر الوجداني، وفي الشعر الاجتماعي، وكان الفصل الثاني بعنوان أنماط الاغتراب، وتشكل من مبحثين هما: الاغتراب الزماني، والاغتراب المكاني، ثم أنهيت الدراسة بخاتمة تضمنت أبرز النتائج والتوصيات، وثَبَت بالمصادر والمراجع.

راجية من الله أن أكون وفقت في تقديم ما يثري ويضيف، وأسأله سبحانه التوفيق والسداد، والعفو عن الزلات، وأصلي وأسلم على شريف الذات ﷺ، وعلى آله وصحبه أجمعين.

التمهيد:

أ. إضاءة على الشاعر:

فواز بن عبدالعزيز بن محمد بن عبدالله بن حمد ابن لعبون المُـدْلِجِيّ الوائِلِيّ العَنَزِيّ، ولد في مدينة الرياض يوم الاثنين في الحادي والعشرين من شوال لعام ١٣٩٥هـ الموافق للسابع والعشرين من أكتوبر لعام ١٩٧٥م، وبها نشأ في كنف أسرته النجدية التي أَسَّسَتْ في القرن السابع الهجري بلدة التُّوَيْم وبلدة حَرْمَة في إقليم سدير الواقع شمال الرياض بقرابة ١٤٠ كيلا، والممتد ستين كيلا باتجاه الشمال.

وأسرة الشاعر من أعرق الأسر وأوجهها، هذا إلى عراقتها في العلوم والآداب؛ فجده المؤرخ الشهير حمد ابن لعبون (توفي: ١٢٦٠هـ-١٨٤٤م) مؤلف «تاريخ ابن لعبون» الملقب بـ «شيخ المؤرخين»، وعمه الشاعر الشعبي الكبير محمد بن حمد ابن لعبون (توفي: ١٢٤٧هـ-١٨٣١م) الذي أَطلق عليه شُداة الشعر الشعبي لقب «أمير الشعراء».

ووالده النبيل الجليل والفاضل الباذل عميد أسرة آل لعبون الذي ظل في نصوص الشاعر مذكوراً مشكوراً مفتخَراً بعلمه وأدبه، وأمه المربية الجليلة والحنون الرؤوم نجوى بنت محمد التي خصها بكثير من الذكر العاطر في شعره، وأخوه الأكبر فضيلة الشيخ محمد (توفي: ١٤٣٥هـ-٢٠١٤م) كبير القضاة، وله على أخيه الشاعر كبير الفضل، وعِدّة إخوته سبعة عشر، الذكور منهم سبعة، والإناث عشر، وترتيبه في جملتهم الحادي عشر، وكلهم متعلم، وجُلُّهم حَمَلَة شهادات عليا في تخصصات أدبية وشرعية وهندسية، وللشاعر خمسة أولاد ما زالوا يتلقون تعليمهم، وهم:

عبدالعزيز، مهند، نجوى، أديب، جنى، وزوجته أم أولاده الدكتورة أماني بنت محمد.

وفي عام ١٤١٤هـ- ١٩٩٣م التحق الشاعر بكلية اللغة العربية في جامعة الإمام، وتخرج فيها بعد أربعة أعوام، ثم عُيِّنَ معيداً في الكلية نفسها في قسم الأدب عام ١٤١٩هـ- ١٩٩٨م، فمحاضراً عام ١٤٢٢هـ- ٢٠٠٢م، فأستاذاً مساعداً عام ١٤٢٦هـ-٢٠٠٥م، فأستاذاً مشاركاً عام ١٤٣٨هـ- ٢٠١٧م، فأستاذاً عام ١٤٤٢هـ- ٢٠٢١م.

تولى جملة أعمال إدارية من بينها رئاسة قسم الأدب، وبعض اللجان العلمية، هذا إلى كونه عضواً في عدة جهات أدبية وثقافية، ومَثَّل المملكة العربية السعودية رسميّاً في عدد من الفعاليات الأدبية الدولية.

ومن أعماله الإبداعية المطبوعة «فائت الأمثال: مقاربة أدبية ساخرة»، وديوان «تهاويم الساعة الواحدة»، وديوان «مزاجها زنجبيل»، ومن أعماله النقدية «شِعر المرأة السعودية المعاصر: دراسة في الرؤية والبنية»، و«الخالديات»، و«أضابير نقدية»، و«أشتات نقدية»، و«الارتجال في شعر المتنبي»، ومجموعة بحوث علمية في تخصص الأدب والنقد منشورة في مجلات مُحَكَّمة، ولديه مخطوط وافر من الشعر، والنثر، والدراسات النقدية.

له حضور شعري متنوع من خلال الإعلام الورقي، والمسموع، المرئي، ونوافذ التواصل، والأمسيات الشعرية الداخلية والخارجية، ويُعرَف في الأوساط الأدبية باسم «قُدْمُوس»، وكان اسماً مستعاراً له في بداياته، ثم لازَمَه، ومن معانيه: القديم، والعظيم، والفخم، والأسد.

وكُتِبَتْ عنه جملة دراسات نقدية أشرت إلى بعضها في المقدمة، وهو ويُعَدّ من الشعراء الذين يزاوِجون بين الأصالة والمعاصَرة في معظم إبداعه، أما مضامينه فيغلب عليها الاتجاه التأملي، فالاتجاه الوجداني، ثم الاجتماعي.

وفي شعره التأملي نزعة اغترابية جليّة، ويمتد هذا النزوع ليشمل ضروباً من الشعر الوجداني، والشعر الاجتماعي، لذلك بدا لي أن دراسة الاغتراب في شعره فكرة موفقة من شأنها أن تضيف جديدا.(١)

---

(١) يُنظر فيما سبق:

- ابن لعبون: حياته وشعره، أبو عبدالرحمن بن عقيل الظاهري، نشر مؤسسة جائزة عبدالعزيز البابطين للإبداع الشعري، الكويت، ط: ١، ١٩٩٧م، ص: ٢٥- ٣٥.
- معجم البابطين للشعراء العرب المعاصرين، إعداد: مؤسسة جائزة عبدالعزيز سعود البابطين للإبداع الشعري، نشر المؤسسة، الكويت، ط: ٢، ٢٠٠٢م، ٤/ ١٣٤.
- دليل الأدباء بدول مجلس التعاون لدول الخليج العربية، إعداد: دار المفردات، نشر دار المفردات، الرياض، ط: ١، ١٤٢٩هـ- ٢٠٠٨م، ص: ٢٦١.
- عابر الأزمنة: تأملات في سجل قُدْموس، فاطمة بنت عبدالله، دار المفردات، الرياض، ط: ١، ١٤٤١هـ- ٢٠٢٠م، ص: ١٠- ٢٨.
- قاموس الأدب والأدباء في المملكة العربية السعودية، إعداد: دارة الملك عبدالعزيز، نشر الدارة، الرياض، ط: ١، ١٤٣٥هـ، ٣/ ١٤٢٨.
- بحوث ومقالات في تاريخ التُّوَيْم، سعود بن عبدالله الحزيمي، دار جداول للنشر والتوزيع، بيروت، ط: ١، ٢٠٢١م، ص: ١٥٧.
- سُدَيْر في عيون الشعر، معاذ بن عبدالله أبا بطين، مؤسسة عبدالله بن محمد أبا بطين للتراث، الخُبَر، ط: ١، ١٤٤١هـ، ص: ١٤٣.
- مجموعة أبحاث ملتقى ابن لعبون، إعداد: مؤسسة جائزة عبدالعزيز البابطين للإبداع الشعري، نشر المؤسسة، الكويت، ط: ١، ١٩٩٧م، بحث بعنوان «ابن لعبون: حياته وشعره» د. يعقوب الغنيم، ص: ٢٧٣.

ب. حدود الاغتراب:

جاء الاغتراب في معظم المعاجم اللغوية المتقدمة بمعنى الغُرْبَة والتَّغَرُّب والتَّغْرِيب، وكلها تدور حول معاني البعد والنُّزُوح والإقامة في مكان غريب بين غرباء، ونَصُّوا أيضاً على أن الاغْتِرَاب افْتِعَالٌ مِنَ الغُرْبَة،(١) ولم يَرِدْ فيها أن الاغتراب إحساس المرء بالغربة ولو كان مقيماً في بلده بين أهله.

وثمة إشارات في كتب المتقدمين تؤكد وعيهم المبكر بدلالة الاغتراب التي يتوخاها البحث، فهذا أبو الفرج الأصبهاني (توفي: ٣٥٦هـ- ٩٦٧م) يقول: «فَقْد الأحبة في الأوطان غربة، فكيف إذا اجتمعت الغربة وفَقْد الأحبة»،(٢) ويُلْمِح أبو حيان التوحيدي (توفي: ٤١٤هـ- ١٠٢٣م) إلى أثر الاغتراب في مُعانيه بقوله: «أين أنت عن غريب قد طالت غربته في وطنه؟!».(٣)

---

(١) يُنظر مادة (غ ر ب) في:
- تاج العروس من جواهر القاموس، الزَّبِيدي، تحقيق: لجنة من مجموعة محققين بإشراف وزارة الإعلام الكويتية، مطبعة حكومة الكويت، الكويت، ط:٢، ١٤١٤هـ- ١٩٩٤م.
- تهذيب اللغة، الأزهري، الدار المصرية للتأليف والنشر، القاهرة، ١٩٦٤م.
- كتاب العين، الخليل الفراهيدي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، د.ت.
- لسان العرب، ابن منظور، دار صادر، بيروت، ط:٣، ١٤١٤هـ.
- معجم مقاييس اللغة، ابن فارس، تحقيق: عبدالسلام هارون، دار الجيل، بيروت، د.ت.

(٢) أدب الغرباء، أبو الفرج الأصبهاني، تحقيق: صلاح الدين المنجد، دار الكتاب الجديد، بيروت، ط: ١، ١٩٧٢م، ص: ٣٢.

(٣) الإشارات الإلهية، أبو حيان التوحيدي، تحقيق: عبدالرحمن بدوي، الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة، ١٩٩٦م، ص: ١١٣.

وقد تَفَطَّن بعض الشعراء إلى آثار الاغتراب على النفس، وسَمّاه بالاسم نفسه، قال ابن الرومي (توفي: ٢٨٣هـ- ٨٩٦م):

ومَنْ تسْخَطْ عَلَيهِ فذُو اغْتِرَابٍ وإنْ لَمْ يُمْسِ في بَلَدٍ شَطِيرِ[١]

والاغتراب في الدراسات الحديثة النفسية منها والنقدية «انفصال الإنسان عن ذاته والعالم انفصالاً يصبح معه غير قادر على التناغم والانسجام لا مع نفسه، ولا مع العالم»،[٢] وحالة من العجز يعانيها الإنسان عندما يفقد سيطرته على ذاته وأشيائه وما يَفترض أن له حق السيطرة عليه مما حواليه.[٣]

وهو أيضاً «ضياع الإنسان في المجتمع، وانفصاله عن ذاته»،[٤] وشعوره بالانفراد والتيه والوحشة والغدر، كما أنه يضج بمعاني الشوق والحنين إلى مواطن مثلى،[٥] مع «صعوبة استمرارية العلاقات الاجتماعية مع الآخرين من أفراد المجتمع»،[٦] وأن يشعر أنه مقتلَع من عالمه لا يمتلك

(١) ديوان ابن الرومي، تحقيق: حسين نصار، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٧٦م، ٣/ ١٠٣٢.
(٢) الاغتراب: سيرة ومصطلح، محمود رجب، دار المعارف، ط: ٢، ١٩٨٦م، ص: ١٢.
(٣) يُنظر: الاغتراب في الثقافة العربية: متاهات الإنسان بين الحُلم والواقع، حليم بركات، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ط: ١، ٢٠٠٦م، ص: ٣٧.
(٤) الاغتراب: سيرة ومصطلح، محمود رجب، ص: ١١.
(٥) يُنظر: الاغتراب وأزمة الإنسان المعاصر، د. نبيل سكندر، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ١٩٨٨م، ص: ٨٥.
(٦) دراسات في سيكولوجية الاغتراب، عبداللطيف خليفة، دار غريب، القاهرة، ط: ١، ٢٠٠٣م، ص: ٨٠.

جذور ثقافة تربطه بالمجتمع الذي يحيا فيه،[١] وإن كانت الغربة تعني ابتعاد المرء عن وطنه فالاغتراب يعني ابتعاده عن نفسه.[٢]

ومن دواعي الشعور بالاغتراب انفراد فئات بالقرار دون فئات، وغياب معنى الحياة، وغياب الإحساس بالأمان، وغياب المعايير، وغياب القِيَم.[٣]

ومن أهم دواعيه لدى الأدباء المعتدِّين بالقِيَم فَقْدُ القِيَم سيطرتَها على الإنسان الحديث بعدأن أصبحت نسبية متناقضة متغيرة باستمرار وسرعة،[٤] هذا إلى طبيعة العصر، «وما يحيق بالقيم من تهديد مبعثه التحول الاجتماعي المتسارع الذي نشأ عن التطبيقات العلمية المتزايدة».[٥]

ويُعَدّ الاغتراب من الموضوعات المحورية لدى إنسان العصر الحديث، ومشكلة من أهم مشكلاته في عالم ماديّ كثير التعقيد،[٦] وجذوره ممتدة من الأصل الأول؛ ليشمل الجنس البشري كله بدءاً من خروج آدم من الجنة، وهبوطه إلى الأرض.[٧]

---

(١) يُنظر: نظرية الاغتراب من منظور علم الاجتماع، السيد علي شتا، عالم الكتب للنشر والتوزيع، الرياض، ط: ١، ١٤٠٤هـ- ١٩٨٤م، ص: ٢٦.

(٢) يُنظر: الاغتراب في الثقافةالعربية: متاهات الإنسان بين الحُلم والواقع، حليم بركات، ص: ٤٧.

(٣) يُنظر: المظاهر الاغترابية في الشخصية العربية، علي وطفة، دراسة منشورة في مجلة الفكر، الكويت، المجلد: ٢٧، العدد: ٢، أكتوبر ديسمبر ١٩٩٨م، ص: ٢٤٦.

(٤) يُنظر: الاغتراب في أدب حليم بركات، بسام فرنجية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ط: ١، ١٩٨٣م، ص: ٢٠٩.

(٥) نظرية القِيَم في الفكر المعاصر، د. صلاح قنصوة، الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة، ط: ١، ٢٠٢٠م، ص: ١١.

(٦) يُنظر: الاغتراب فيالثقافة العربية: متاهات الإنسان بين الحُلم والواقع، حليم بركات، ص: ٣٥.

(٧) يُنظر: الاغتراب في الفن، عبدالكريم هلال خالد، منشورات جامعة قار يونس، بنغازي، ط: ١، ١٩٩٨م، ص: ١٤٣.

وازداد الإحساس به مؤخرا، حتى صار لازمة عصرية للكثير من أبناء العصر، وملمحاً أساساً في تركيبة الذات،[١] وسمة جوهرية للوجود الإنساني،[٢] وعلى هذا فـ «ليس غريباً إذَنْ أن يصبح الاغتراب موضوعاً مهمّاً في الثقافة الحديثة، أي منذ أعلن هيغل أن الإنسان أصبح عاجزاً في علاقاته بنفسه ومجتمعه والمؤسسات التي ينتمي إليها، حتى استحال انتماؤه نوعاً من اللاانتماء والهامشية».[٣]

ويرى باحثون غربيون أن الاغتراب يمتد ليشمل التشاؤم (Pessimism)، وفقدان المعايير (Normlessness)، وغياب المعاني (Meaninglessness)، والعزلة (Isolation)، والاغتراب الذاتي (Self-estrangement)،[٤] أو بمعنى آخر يتألف من خمسة توجهات متشابكة هي: التركيز على الذاتية (Egocentricity)، وعدم الثقة (Dislrust)، والتشاؤم (Pessimism)، والقلق (Anxiety)، والاستياء (Resentment).[٥]

إن الاغتراب في علم النفس «متعلق بما يحدث للفرد من اضطرابات نفسية وعقلية، وما يستشعره من غربة في العالم، وفتور أو جفاء علاقته

(١) يُنظر: من أزاهير الرياض: أحاديث من الأدب والنقد، د. سيِّد إبراهيم، من دراسة بعنوان: الشعر والاغتراب، النادي الأدبي بالرياض، ط:١، ١٤٢٤هـ- ٢٠٠٤م، ص: ١٤٧.

(٢) يُنظر: الاغتراب، ريتشارد شاخت، ترجمة: كامل يوسف حسين، ط: ١، ١٤٠١هـ-١٩٨٠م، ص: ١١.

(٣) الاغتراب في الثقافة العربية: متاهات الإنسان بين الحُلم والواقع، حليم بركات، ص: ٣٥.

(٤) يُنظر: السابق، ص: ٣٦.

(٥) يُنظر: السابق، ص: ٣٦.

بالآخرين»،[١] ويفسر باحثون بأن أهم أسباب الشعور بالاغتراب في نظرية العقد الاجتماعي تخلي الإنسان عن حقه الطبيعي بالعيش الحر من أجل انتقال السيادة منه إلى الأنظمة والمؤسسات،[٢] وما صحب ذلك من صراع فكري ناجم عن صعوبة تأقلم الإنسان الجديد نابه الحس مع الواقع الجديد،[٣] فتختلط في وجدانه الحقيقة بالخيال، ولا يعرف ماذا يكون، ولا ماذا يريد، ولا ماذا يريد منه الآخرون،[٤] ومما يضاعف الشعور بالاغتراب أن شخص الاغتراب من النماذج البشرية التي تحب الصراع والمقاومة، وليس من السهل عليه الخنوع للمتغيرات السريعة.[٥]

وقبل أي شيء وبعده فـ «ليس الاغتراب مرضا، كما أنه ليس نعمة، إنه ملمح رئيس للوجود الإنساني»،[٦] هذا إلى أن الشاعر في اغترابياته قد يتقمص شخصية غير شخصيته محققاً فرضية بعض النقاد الغربيين الذين يؤكدون أن «الأنا التي تكتب غير الأنا التي تمارس الحياة»،[٧] أضف إلى

---

(١) الاغتراب: سيرة ومصطلح، محمود رجب، ص: ٣٥.

(٢) يُنظر: الاغتراب في الثقافة العربية: متاهات الإنسان بين الحُلم والواقع، حليم بركات، ص: ٣٧.

(٣) يُنظر: الحب والاستلاب: دراسات في علم الشخصية المستلبة، محمد شاويش وحسين شاويش، دار الكنوز الأدبية، بيروت، ط:١، ١٩٩٥م، ص: ١٢.

(٤) يُنظر: الاغتراب النفسي، إبراهيم عيد، د. ن، القاهرة، د. ط، ١٩٩٠م، ص: ١٧٠.

(٥) يُنظر: علم الطباع، سامي الدروبي، دار المعارف، القاهرة، ط:١، ١٩٦١م، ص: ٦١-٦٢.

(٦) مضمرات النص والخطاب، سليمان حسن، مطبعة اتجاه الكتاب العرب، دمشق، ١٩٩١م، ص: ٢٠١.

(٧) الرؤية والعبارة: مدخل إلى فهم الشعر، د. عبدالعزيز موافي، الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة، ط: ١، ٢٠٠٨م، ص: ١٦١.

ذلك أن المبدعين لا يعكسون رغباتهم الحقيقية في نصوصهم، وليس بالضرورة أن تنبع من ذواتهم، وإنما هي منعكسة عن الآخرين في عملية أشبه ما تكون بالتعمِيَة، أو التعبير عنهم، تماماً كما يقول أحد المبدعين «لا يحدث أني أرغب في شيء، ولكنه الآخر الذي يرغب من خلالي».[١]

(١) التحليل الاجتماعي للأدب، السيد ياسين، الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة، ط: ١، ٢٠٢٠م، ص: ٤٨.

الفصل الأول: تجليات الاغتراب:

المبحث الأول: في الشعر التأملي:

وهو أعمق مضامين الشعر، وأبعدها غَوْرا، ولا يطرقه غالباً إلا شاعر ذو رؤى ناضجة، وتجارب صعبة، وثقافة واسعة، ونفس متطلعة متسائلة.(١)

وبالشعر التأملي يسبر الشاعر أعماق نفسه، ويسبر المتلقي خبايا الشاعر، إنه مضمون يقول الكثير، ويكشف المثير، ويزخر بالعديد من الدلالات والرموز والاستحضارات المتنوعة التي تقدم في جملتها صورة وافية عن الشاعر وثقافته.

ولعل أعجب تأملات الشاعر اللعبون يتجلى في قصيدته «مدينة التِّيه» التي جاءت أشبه ما تكون بسيرة خيالية لشاعر يحكي من عالم ما وراء الطبيعة.

يبدأ الشاعر قصيدته باحثاً عن ذاته المفقودة في مدينة تقع في المنتصف بين حَدَّين: حد الماضي، وحد الآتي:(٢)

على شُرْفَةِ الماضي وبَوّابةِ الآتي وَقَفْتُ على الحَدَّيْنِ أبحَثُ عن ذاتي

ثم يبدأ رحلة البحث الشاقة:(٣)

أُسائلُ عنها كلَّ غادٍ ورائحٍ وأَذْكُرُ مِن أوصافِها بعضَ آياتي
أقُولُ لَهُمْ: هل ثَمَّ ذاتٌ شريفةٌ عليها من الأهوالِ ثوبُ معاناةِ؟!

(١) يُنظر: الشعر والتأمل، روستريفور هاملتون، ترجمة: محمد مصطفى بدوي، مراجعة: د. سهير القلماوي، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة، القاهرة، ط: ١، د.ت، ص: ١٢٤.
(٢) مزاجها زنجبيل، فواز اللعبون، ص: ٧.
(٣) السابق، ص: ٧.

طويلةُ أحزانٍ! قصيرةُ فرحةٍ! هزيلةُ أطماعٍ! عريضةُ غاياتِ!
مُبَعثَرَةٌ شوقاً تُحَدِّثُ نَفْسَها وتَقْضي دُجَاها في مُنَاجاةِ أَمواتِ
وتَزعُمُ وَهْماً أنّ طيفاً يزورُها وأنّ لها درباً لبابِ السماواتِ
إذا الليلُ وافاها أراقَتْ دموعَها وإنْ أشرَقَ الإصباحُ غَنَّتْ بأبياتِ
تُجِيدُ مُداراةَ الدموعِ، وتارةً تُرائي وتَبدو في الورَى بابتساماتِ!
تُحِبُّ جميعَ الناسِ حتى الذين لم يُحِبُّوا لها إلا لئيمَ الإساءاتِ
وتَحيا على نَفْحِ المحبةِ إن سرَى وتَمْرَضُ إن هَبَّتْ رياحُ العداواتِ

يسائل الناسَ عن ذاته، ويسرد لهم أوصافها لئلا تشتبه عليهم ذوات أخرى، وكأنه يقرر أن هذه الصفات لا توجد في غير تلك الذات، ومن هنا يبدأ الاغتراب؛ فهي الذات الوحيدة التي يسهل تمييزها بصفاتها الحصرية، فهي ذات شريفة عانت كثيرا، طويلة أحزان، قصيرة فرحة، هزيلة أطماع، عريضة غايات، بها شوق عارم لأموات غادروها، وتتخيل أطيافهم تنتابها، وتتصور أنها ذات قادرة على التجنيح للأعلى لتلتقي بالملأ الصاعدين، هذه الذات أيضاً تجهش بالبكاء ليلا، وتشدو بألحان الحياة صباحا، وتجيد مداراة الدموع، وتضطر للرياء أحيانا، فتبدي ابتساماتها وهي باكية، ومن صفاتها محبة الناس كل الناس حتى أولئك الذين آلموها، ولا خيار لها غير الحب، فبالحب تحيا، وبالكراهية تمرض.

هكذا يعرض الشاعر صفات ذاته على العابرين، لقد أحاطهم علماً بأهم التفاصيل التي تدرأ الاشتباه، ومع ذلك لا أحد من العابرين هداه ولا واساه، والأصعب أنهم ينظرون إليه باستخفاف سببه أنه يسأل عن ذات سماوية الصفات، وليس سببه أنه يبحث عن نفسه، يصف هذا الشتات قائلا:[1]

(١) مزاجها زنجبيل، فواز اللعبون، ص: ٧.

«وَقَفْتُ وما في [البُؤْسِ] شَكٌّ لواقفٍ» أُسائلُ عني في دروبِ انكساراتي
على كَتِفي أشلاءُ حُلْمٍ مُمَزَّقٍ ومِزْوَدَتي تَحْوي بَقِيَّةَ أشتاتي
يَمُرُّ عليَّ العابرونَ وكلّما سَألتُهُمُ عني استَخَفُّوا سُؤالاتي!
وتَرْمُقُني بعضُ العيونِ كأنّما تُخَبِّئُ عن عينِي أليمَ الإجاباتِ!

استحضاره المحرَّف لشطر المتنبي (تـ ٣٥٤هـ- ٩٦٥م) «وَقَفْتَ وما في المَوْتِ شَكٌّ لواقفٍ»[١] استحضار لا تخفى دلالاته، فالمتنبي لا شك لديه في الموت، والشاعر لا شك لديه في البؤس، وكلاهما طامح متطلع، ويواجه تهديداً صعبا.

ويمضي الشاعر الغريب حاملاً على كتفه حُلماً باليا، وبقايا ذكريات، ويظل يسأل عن ذاته والعابرون يرمقونه حيناً باستخفاف، وحيناً بإشفاق، وكأنهم يخفون عنه إجابات موجعة.

ولا يجد الشاعر ضالته، فيتسلل إليه اليأس، وتَضعُف قُواه، فيفترش الأرض بين الحَدَّين جاعلاً من نصف عمامته فراشا، ومن نصفها الآخر ضِمَاداً يوقف به نزف جراحه، ويلتحف شِقْوته، ويتوسد طول انتظاره، ثم يسترسل في وصف ما ينتابه من ذكريات ومواقف، يقول:[٢]

وها أَنَذا باقٍ على حَدِّ حَيرتي ولا خَبَرٌ عني يُسَكِّنُ رَوْعاتي
فَرَشْتُ على الحَدَّيْنِ نصفَ عِمامتي وبالنصفِ ضَمَّدتُ انثِعابَ جِراحاتي

(١) شرح ديوان أبي الطَّيِّب المتنبي، المنسوب إلى أبي البقاء العُكْبَري (توفي: ٦١٦هـ)، تحقيق: مصطفى السقا وإبراهيم الأبياري وعبدالحفيظ شلبي، دار المعرفة، بيروت، ١٩٧٨م، ٣/ ٣٨٦، والبيت تامّا:

وَقَفْتَ وما في المَوْتِ شَكٌّ لواقفٍ كأنَّكَ في جَفْنِ الرَّدَى وهْوَ نَائمُ

(٢) مزاجها زنجبيل، فواز اللعبون، ص: ٧.

ومِلْتُ على جنبي فقيــراً مُشَــرَّداً وقلتُ لقلبي: هاتِ يا مُتعِبِي هــاتِ
مضَى زَمَنٌ لم ألتحِفْ غيرَ شِقوَتي ولم أَتَوَسَّدْ غيرَ طــولِ انتظــاراتي
وفَتّشتُ عن كــلِّ الــذينَ أُحِــبُّهُمْ ونادَيتُ لكنْ ما أجــابوا نِــداءاتي!
تَجَرّعتُ في هذا الشَّتاتِ مَرارتــي وأَنْكَرتُ وجهي في صفاوَةِ مِرآتي!
أَمُــدُّ يَــدِي للعــابرِينَ، وأنــزوي بوجهي، وأشري بالهوانِ مواساتي!
يَجُودُ علــيّ المحسِــنونَ بِكِسْــرةٍ وهذا إدَامِي المُرُّ مِن زيتِ مِشْكاتي!

يفترش الأرض غريباً مشرداً ينكر نفسه، ويطول به الانتظار عل ذاته تعبر أو أحداً يدله عليها، لكن لا جديد، ويطول به الافتراش، ويجود عليــه العابرون بما يسد رمقه.

ولا يقر الشاعر بضيق ذات يده، فمعه ذكريات هــي أنفــس ثروتــه، يقول:(١)

معي مِن بقايا الأمسِ ومضةُ خافِقٍ أُناجي بها في الليلِ عَذْبَ المُناجاةِ
وصورةُ أمي وهْي تَمْسَحُ أدمعــي وتَرتَعُ بي في حِجْرِها بينَ جَنّــاتِ
وصوتُ أبي إذْ يَصطفيني بنُصــحِهِ ويتلو على سمعِ المَدَى بِضْعَ آياتِ

معه في رحلة الشتات والتيه قلب نابض بمحبة الله، وصورة أمه وهي تكفكف أدمعه، وتهدهده على حِجرها، وصوت أبيه وهو يسدي إليه النصح، ويترنم ببضع آيات.

ويقرر الشاعر البقاء على هذا الحال لا يبرحه، فليس لديه ما يخســره أكثر مما خسر بضياع ذاته، يقول:(٢)

---

(١) مزاجها زنجبيل، فواز اللعبون، ص: ٧.
(٢) السابق، ص: ٧.

أنا ها هُنا لا شيءَ أخشَــى ضــياعَهُ أبعدَ ضياعِ العُمْرِ أخشَى على شاتي؟!
سأَبْقَى على الحَدَّيْنِ نِصْفي لِمَا مَضَى ونِصْفي لما يأتي وما ليسَ بــالآتي

ختام حاسم، وقرار لا رجعة فيه، سيبقى على الحدين مفترشــاً الأرض زاهداً في المدينة، متهيباً الرجوع إلى الماضي، والمضي إلى المستقبل.

هذه القصيدة سيرة خيالية عجيبة تكشف عن صــراع الشــاعر مــع واقعه، وصعوبة تأقلمه معه، وكيف يتجاذبه تيار الماضي وتيار المســتقبل، وفي أثناء ذلك يجد نفسه في مكان لا يلائمه، ولا يجد ذاته فيه، فهل لو غَيّر مكانه، ووثب من شرفة الماضي، وعاد إلى الخلف، أو انطلق مــن بوابــة المستقبل، وتقدم إلى الأمام، لو فعل شيئاً كهذا فهل سيجد ذاته، وهل طرأت في باله هذه الفكرة، أم أن استحالتها تركتها بلا محاولة ولا جواب؟!

وتلح عليه فكرة فقدان الذات في أكثر من قصيدة، وكأنه بوعي أو دون وعي يعيش هذا الهاجس الذي عبر عنه حقيقة لا تقبل الشــك، يقــول فــي قصيدته «صُوَاع المَلِك»:(١)

أنا مِن غــابرِ الأَزمــانِ مــاضٍ أُفَــتِّشُ فــي مَــدائنِ ذِكْريــاتي
أُسائلُ كُــلَّ مَــن لاقَيْــتُ فيهــا: أَمَا صادَفْتَ في الطُّرُقاتِ ذاتــي؟
لهــا عَيْنَــانِ ناطِقَتَــانِ حُبّــاً وثَغْــرٌ مُفْعَــمٌ بالأُغْنِيَــاتِ
بِيُسْــرَاها عُقُــودٌ مــن وُرُودٍ وفــي اليُمْنَــى بَقَايَــا أُمْنِيَــاتِ
جَمِيلَــةُ طَلْعَــةٍ بَيْضــاءُ قَلْــبٍ وتُحسِنُ ظَنَّهــا فــي الكائنــاتِ
تُوَاسي مَن يُقَاسي في المَآســي وتَبْكــي لِلعُيــونِ الباكيــاتِ
وتَهْمِي رَحمَــةً وتَفِــيضُ نُــوراً يَشُعُّ سَنَاهُ فــي كُــلِّ الجِهَــاتِ

(١) مزاجها زنجبيل، فواز اللعبون، ص: ٢٤.

وتُبْـدي بِشْـرَها شِـعْراً ونَثْـراً ولا تُبْـدي الجِـراحَ الخافيـاتِ
إذا صـادَفْتَها يومـاً فقُـلْ لـي وأَنْقِذْني فَـدَيْتُكَ مِـن شَـتَاتي

هي ليست مدينة تِيه فحسب، بل عِدّة مدائن طاف بها، وترك فيها بقاياه، ولا يدري في أيِّها يجد ذاته، ويظل يكرر أسئلته على العابرين سارداً عليهم صفات ذات نقية مُحِبة ثابتة على أصالتها في عالم سريع التحديث والتغيُّر.

وبعد طول تنقيب في البلاد عن ذاته يلمح الشاعر طيفاً نورانيّاً كأنه هي، ثم يدور بينهما الحوار الآتي في قصيدته «براءة من زمن قديم»:(١)

أبصرتُها كـالنُّورِ يجتـاحُ الـدُّنَى عندَ احمرارِ الأُفق قبلَ المُنْحَنَـى
كانـت جميلـةَ طَلْعـةٍ بَسّـامَةً تمشي مُخَفَّـرَةً بهـالاتِ المُنَـى
ناديتُهـا فرنَـتْ إلـيّ وسَـلّمَتْ وكأننا مِن قَبـلُ نَعـرِفُ بعضَـنا
مَن أنتِ؟ صوتُكِ لستُ أجهلُ همسَهُ وبهاءُ وجهِكِ ليس مجهولَ السنا
قالت: أَتَذكرُ فـي صِـباكَ بـراءةً سكَنَتْ فؤادَكَ حِقبةً؟ هـذي أنـا
قَلَّبْـتُ ذاكرتـي وحـينَ ذَكَرْتُهـا عانقْتُ بعضَ ظِلالِها حتى انثنَـى
اللهَ كيفَ هجرتِ مـيلادَ الصِّـبا؟! أولَمْ يكن صدري لنبضِكِ موطنا؟!
قالت: قسا الزَّمَنُ الجديدُ وخِلتُنـي إن عشتُ فيكَ بَقِيتَ سَـهْلاً لَيِّنـا
وسيَسـتَبِدُّ بـكَ الـذين تُحِـبُّهمْ ويُذِيقُكَ الأعداءُ أنـواعَ الضَّـنَى
فرَحَلْتُ كي تحيـا حياتَـكَ مِـثْلَهُمْ مُتَنَمِّراً لا تنحنـي كمَـنِ انحنَـى

أخيرا وجدها.. إنها ذاته الطفولية الطاهرة التي صحبته صغيرا، ثم فجعَتْه بفراقها القسري عنه، وها هو يصادفها بعد طول غياب، ويتنامى

(١) السابق، ص: ٣٧.

بينهما العتاب، فتعتذر له أجمل اعتذار، مبينة أن وازع رحيلها إنساني في عالم قليل الإنسانية، فلو بَقِيَتْ ذاته الطفولية فيه لما استطاع الانسجام مع قسوة الحياة والناس.

وكأنه يقنع باعتذاره، ثم يطمع بشيء من نفحاتها الأولى، ويلتمس أن تعود إليه لو قليلا، يقول:(١)

قلتُ: اسكُنيني نَفْحَةً قُدْسِيّةً ... قالتْ: طَلَبتَ المستحيلَ المُمْكِنا
لَمْ أَدرِ ما تَعنِيهِ لكنْ خِلْتُها ... تَجِدُ التواصُلَ مِن بعيدٍ أحسَنا
واستشرَفَتْ عيناي في أَشيائها ... ولَمَحْتُ عُنوانَ المليحةِ بَيِّنا
فتَبَسَّمَتْ لي بَسْمتَينِ ووَدَّعَتْ ... وتَتَابَعَتْ أحلَى الرسائلِ بينَنا

لقد اتفقا على حل وسط، لا بد من فراق، لكن لا شيء يمنع من التواصل عن بعد ما بين حين وآخر، هذا التواصل هو الذي سيبقي خيط إنسانيته مشدوداً مع ذاته الأولى التي أضاعها عُمرا.

وفي قصيدته «جدارية ليل» يقاوم الشاعر انكسارات ذاته الجديدة في العالم الجديد، ويحاول أن يواسيها، ويمنحها شيئاً من القوة، يقول:(٢)

وَيْكِ نَفْسي أَشْرِقي لا تَيْأَسي ... خَلْفَ طُورِ الليلِ نارٌ فاقْبِسي
اصْطَلِيها، لا تَخافي وَحشَةً ... إنّ فيها راحةً للأَنفُسِ
لا تُرَاعي مِن تَهاويلِ الدُّجَى ... شمعةٌ تُفْني فُلُولَ الحَنْدَسِ
أَوْدِعي جَنْبَيكِ إحساسَ الرِّضَا ... وبِمَا تَكْسُوكِ دُنيَاكِ اكْتَسي
عُمْرُنا في الدهرِ ساعاتٌ وفي ... لحظةٍ نُجْنَى كأنْ لم نُغْرَسِ

(١) السابق، ص: ٣٧.
(٢) السابق، ص: ١٣.

مواساة هادئة تبدو منطقية مألوفة، ويتناص فيها مع قصة الكليم موسى عليه السلام حين آنس في جانب الطور نارا، فلما ذهب إليها ليقبس منها عاد مغموراً بالأمان والكرامات، وهذا ما يتطلع إليه الشاعر، فيمضي موجِّهاً نفسه إلى ما يعينها على الوصول إلى المأمول، غير أن توجيهاته ما تلبث أن تنحو منحى مغايراً أساسه المخاتلة والمغالطة، يقول مخاطباً ذاته:(١)

فاكذِبي الأيامَ واجْنِي شَوْكَها ... وادَّعِي أنّ الأَذَى في النَّرْجِسِ
وابْسُمِي في وَجْهِها إنْ أَقبلَتْ ... وإذا مَا أَدبَرَتْ لا تَعْبِسِي
خَاتِلِيها بالرِّضَا حَتَّى إذا ... أَنِسَتْ مِيلِي إلَيْهَا وائْنَسِي
إنّ في الأيامِ سِرّاً مُلْبِساً ... أَحْمَقُ الرأيِ بِهِ كالكَيِّسِ
وعَلَى قَدْرِ اجْتِهَادِ المَرْءِ في ... كَشْفِهِ يَزدَادُ عُمْقُ المُلْبِسِ

نبرة يأس عالية حملته على هذه المغالطات المنطقية، وكأنه يريد أن يقول إن الحياة لا تساس بالمنطق، إذ لو كانت كذلك لسعد فيها العقلاء، غير أن أسعد أهلها فئات بينهم وبين العقل مسافات وخصومات، ثم يختم قصيدته مذعناً لواقع صعب تعذر عليه تروضه أو ترويض نفسه فيه، فيقول:

إيهِ يا دُنيا اكتُبِيني وامسَحِي ... وارسُمِيني لوحةً في مَجْلِسِ
رُبّمَا يَقْرَؤُنِي مُستَقبَلاً ... حائرٌ مِن مِثْلِ كأسي يَحتَسِي

إذَنْ، فالوقت الراهن لا أمل فيه، ولعل قادم الأيام يؤكد للأجيال القادمة أن اغتراب الشاعر حق لا ترف، وأن زمنه قسا عليه أكثر مما يجب، فربما أنصفه جيل قادم في زمن قادم.

---

(١) مزاجها زنجبيل، فواز اللعبون، ص: ١٣.

المبحث الثاني: في الشعر الوجداني:

وهو أغزر المضامين حضوراً في الشعر الغنائي قديماً وحديثا، وأعذبها في وجدان المتلقين، وتتفرع منه أكثر أغراض الشعر شهرة وسيرورة، كالغزل، والحنين، والشكوى، والمناجاة.(١)

وقد احتفى الشاعر اللعبون بهذا المضمون كثيرا، وجاء بطائفة من وجدانياته ممتزجة بمزاجه الاغترابي.

وأكثر وجدانياته الاغترابية تدور في فلك الشكوى؛ إذ طالما شكا من الذين كان يشكو إليهم، ومن أولئك الذين توسم فيهم النبل فتبين له خلافه، ومن أولئك الذين آذوه دون أن يعرف الأسباب.

ومن وجدانياته تلك قصيدته «أوجاع يوسفيّة» التي يستحضر فيها قصة يوسف عليه السلام مع إخوته، يقول:(٢)

أشكو الأُلَى أودَعوني الجُبَّ وانقلبوا ... وفي قميصي الذي أخْفَوا دَمٌ كَذِبُ
ما كنتُ أَعجبُ من خذلانِهِمْ أبداً ... بل إن حِفظَهُمُ عهدي هو العَجَبُ
جَزُّوا الرِّشاءَ الذي بيني وبينَهمُ ... وما تَبقَّى لإشراق المنى سببُ
حولي ذئابٌ بريئاتٌ تسامرُني ... وتتقي اللهَ في ضعفي وتحتسِبُ
تعوي على جُرحيَ الدامي وتُسمعُني ... لحناً من الطهرِ في الظلماءِ ينسكِبُ
وها هو العُمْرُ يمضي والمَدَى ظُلَمٌ ... ووحشتي حُجُبٌ من فوقِها حُجُبُ
ثاوٍ بجُبّيَ لا سيّارةٌ عَبَرتْ ... ولا طريدُ دروبٍ منه يَقتَرِبُ

---

(١) يُنظر: الاتجاه الوجداني في الشعر العربي المعاصر، د. عبدالقادر القط، دار النهضة العربية، بيروت، ط:٢، ١٤٠١هـ، ص: ٢٤.

(٢) مزاجها زنجبيل، فواز اللعبون، ص: ١٩.

وكـــلَّ يـــومٍ أرى نـــابي يُطـــاولُني ومِخلبي في يدِي كالنَّصلِ يَرتقِـبُ

ما حدث ليوسف عليه السلام يتكرر معه، وتختلف بعض التفاصيل في القصتين لدلالات لا تكاد تخفى؛ فالاثنان أُلْقِيَا في جُبّ، غير أن يوسف لم يكن يتوقع خذلان إخوته، في حين أن الشاعر لم يَعجب مـــن خـــذلانهم، وذئـــب يوسف المتهَم ظلماً صار عدة ذئاب لدى الشاعر، وهي ذئـــاب ذات حضـــور إنساني لافت، فهي مع براءتها وادعة تســـامره، وتمـــلأ عليـــه وحشـــته، والسيارة التي أنقذت يوسف لم تنقذ الشاعر الذي ظل يترقبها، وبعد طـــول ترقب يتحول الشاعر الوديع إلى إنسان آخر ظاهر القســـوة والحِـــدّة؛ لأنـــه اكتشف أخيراً أن المروءة في الزمن الخطأ خطأ، فتطول أنيابـــه ومخالبـــه، ويغير سياسته في التعامل مع الناس، ويترقب المـــؤذين ليـــواجههم بحـــزم وعزم.

ومن أبرز دواعي اغترابه في وجدانياته افتقاده مصادر الأمان والحنان التي كانت تملأ عليه دنياه، وتغمره بالحب، وهذا ما جعله يجد نفسه غريبـــاً ما داموا بعيدين عنه، يقول في قصيدته «زائر الطيف»:(١)

أدري بـــأني بـــآلامِ النَّـــوَى أدرَى فما الذي برزَايـــا لـــوعتي أَزْرَى؟!
كَمْ راحِـــلٍ عَـــزَّ فـــي قلبـــي تَـــذَكُّرُهُ ما دُمْتُ لم أَنْسَهُ ما قِيمَةُ الذِّكْرَى؟!
كُلُّ الذينَ جَرَوا مـــا بَـــينَ أَوْرِدَتـــي تَجَسَّدوا في خَفَايـــا آهَتِـــي شِـــعْرا
أَرَاهُمُ فـــي مِـــدادي أَحْرُفـــاً عَبَقَـــتْ فإن كَتَبْتُ سَـــرَتْ ذِكْـــرَاهُمُ عِطْـــرا
وكُلَّمَا صُغْتُ شَطْراً في الهَوَى حَضَروا وأَكْمَلُوا بمَعَـــاني حُسْـــنِهِمْ شَـــطْرا
أَبْيَاتِيَ الغُرُّ ما كانتْ سِـــوَى صُـــوَرٍ لَهُمْ وهُمْ يَنْثُرُونَ المَـــاءَ والزَّهْـــرا

(١) مزاجها زنجبيل، فواز اللعبون، ص: ٨٤.

إنهم يَحْيَون داخله، ويملؤون عليه وجدانه، وينعكسون على مداده وقوافيه، ويتراءون له أنَّى أشاح بناظريه، وهذا كله يعزله عن عالمه الواقعي، فيظل مستغرقا في عوالم يترقبها ويحن إليها، ويشفق عليه خياله الثَّرّ، فيخيِّل للشاعر حضور الغائبين في هيئة أطياف تُجنِّح حواليه، يقول:(١)

غابُوا وما غابَتِ الأطيافُ مُذْ رَحَلوا ... وكَمْ سَرَوا في الكَرَى سُبْحانَ مَنْ أَسْرَى
أَشْتَاقُهُمْ وأَمُدُّ الليلَ أرصفةً ... وأَعْبُرُ الحُلْمَ نَحْوَ المُنْتَهَى جِسْرا
حُضُورُهُمْ مَالِئٌ رُوحي وهَا أَنَذا ... أَشْكُو لَهُمْ دَاءَ ضَعْفي كُلَّما اسْتَشْرَى

ومن بين تلك الأطياف طيف أثير طواه الموت، وظلت ذكراه في وجدان الشاعر باقية لا تموت، يقول:(٢)

لي بينَ تِلكَ الطُّيُوفِ البيضِ مُرْتَحِلٌ ... أُصْغي لَهُ وهْوَ يَرْوي سِرَّهُ جَهْرا
لَمّا أَطَلَّ لَثَمْتُ النُّورَ مِنْ يَدِهِ ... وقُمْتُ عَانَقْتُ مِنْهُ الدِّفْءَ والطُّهْرا
أَطَلَّ مِنْ شُرُفَاتِ الخُلْدِ مُبْتَسِماً ... ومُقْلَتَاهُ تَبُثَّانِ الرِّضَا بِشْرا
جَبِينُهُ بِشُعَاعِ السَّمْتِ مُلْتَفِعٌ ... ووَجْهُهُ يَتَراءَى في المَدَى بَدْرا
فَهِمْتُ مِنْهُ الذي قد كُنْتُ آمُلُهُ ... لَهُ، ووَدَّعَني للزَّوْرَةِ الأُخْرَى
عَلَيهِ مِنِّي أَمَانُ اللهِ ما بَقِيَتْ ... رُوحٌ، وما ذابَ قَلْبٌ في النَّوَى صَبْرا

يعيش الشاعر هذه الخيالات وكأنها واقعه، ويظل ينسج تفاصيل صغرى وكبرى لا ينسجها إلا من مر بها حقيقةً لا افتراضا.

وتبدو قصيدته «لحن الطموح» مثالاً جليّاً على وجدانياته الاغترابية، وهي أقدم قصائد ديوانه، وقد نشرها الشاعر النشر الأول وهو طالب

(١) مزاجها زنجبيل، فواز اللعبون، ص: ٨٤.
(٢) السابق، ص: ٨٤.

جامعي، ويقر فيها باغترابه وهو بين أهله ولذّاته، يقول مخاطباً بلبلاً حقيقيّاً سمعه يشدو، وربما جعل من البلبل قناعا:(١)

كَفَاكَ آهاً.. لقَـدْ جَـدّدتَ آهـاتي ... وَعُدْتَ بِي نَحْوَ مَنْسِـيِّ الجِرَاحـاتِ
أَلْهَبْتَ في خَاطِرِي مَأْساةَ مُغْتـرِبٍ ... مَاذا عَلَيْكَ وقَـدْ أَلْهَبْـتَ مأْسـاتي؟
أَذْكَرْتَنِي غُرْبَتي والشَّمْلُ مُجْتَمِـعٌ ... وَبَـيْنَ عَيْنَـيَّ آمـالي ولَـذَّاتي

جدد البلبل مأساة اغتراب الشاعر التي ما إن تهدأ حتى يثيرها مثيـر، وكل بادرة من البلبل تجدد في الشاعر ذكرى أليمة، وتزيده انفصـاماً عـن واقعه، وبعداً عن عالمه، يقول:(٢)

يَا بُلْبُلَ الحزْنِ لم تَصْدَحْ عَلَى فـنٍ ... إلاّ وَجَدَّدْتَ لـي ذِكْـرَى مُعَانـاتي
ومَا سَلَكْتَ إلى المجهولِ دَرْبَ أَسىً ... إلاّ وَجَـدْتَ بـهِ آثـارَ خُطْـواتي
لَسْتَ الوَحِيدَ الذي يَبْكي مَوَاجعَـهُ ... سَلْ عَنْ دُمُوعِيَ أَثْبَاجَ المُحِيْطـاتِ
كَمْ رُعْتَ قَلْبي وكَمْ هَيَّجْتَ لي شَجَناً ... وكَمْ خَنَقْتَ عَلَى ثَغْرِي ابتِسَـاماتي

يتنافسان أيهما أشجى، ثم يلتمس من البلبل أن يبادله البـوح، حتـى يقول كل منهما خفاياه دون تحفظ:(٣)

ماذا أقولُ؟ وما أُخفي؟ وفـي لغتـي ... عَوَاصفٌ تَتَـوارَى فـي عِبـاراتي
ماذا إذا البَوْحُ لَـمْ يَحْفَـظْ مَهَابَتَـهُ ... ولَـمْ يُـرَاعِ تَهاوِيـلَ الصَّـباباتِ؟
قُلْ مَا بَدَا لَكَ مِنْ شَكْوَى الخَفَاءِ وقُلْ ... لي: هَاتِ مَا تَشْتَكي يَا مُشْبِهي هَاتِ
قَلْبي وَقَلْبُكَ فـي صَـمْتِ اتِّفَاقِهِمـا ... مُعَـذَّبانِ بتَقْصِـيرِ الإشَـاراتِ

(١) مزاجها زنجبيل، فواز اللعبون، ص: ٤٣.
(٢) السابق، ص: ٤٣.
(٣) السابق، ص: ٤٣.

إن اغتراباً يعانيه طالب جامعي ما زال في أول دروب الحياة لاغتراب جدير بأن يقول ما لا يقال فيما بعد.

ومن وجدانياته الغزلية ما ينم عن اغتراب كامن، فهو إن تغزل انتقل إلى نماذج الغزل الأولى، وعاش في زمان ومكان سابقين، يقول في قصيدته «ضَلالي القديم»:(١)

قد ذُقْتُ خَمْرَ الهوَى حتى سَكِرتُ بهِ ... وعَربَدَ الشوقُ في جَهْري ومَكْنُوني
أَجُرُّ في الناسِ خَطْوي قائلاً لَهُمُ: ... خذوا يَدِي وإلى لَيلايَ دُلُّوني
وقائلينَ: فتىً سكرانُ مُضطَرِبٌ ... مُدُّوهُ للسَّوطِ قلتُ: الآنَ مُدُّوني
إن كانَ لا بُدَّ مِن سَوْطٍ أُحَدُّ بهِ ... فبِالضَّفائرِ مِن لَيلايَ حُدُّوني
كم لامَني فيكِ أَحبابٌ عَذَرْتُهُمُ ... وصِرتُ أَعجَبُ مِمَّنْ لَمْ يَلُومُوني
جاوزتُ في حُبِّكِ المَعقُولَ مِن ولَعي ... وكلَّما عَيَّرُوني قلتُ: زِيدُوني
قالوا: جُنِنتَ بها حُبّاً؟ فقلتُ: نَعَمْ ... وليسَ مجنُونُ لَيلاكُمْ بمجنُونِ
لو تَعرِفونَ جُنُوني في مَحَبَّتِها ... لَقُلْتُمُ: عاشَ فَوّازُ ابْنُ لُعْبُونِ

هذه القصيدة تفصح عن شاعر عاشق يعشق محبوبته، ويعشق النموذج القديم في العشق زماناً ومكانا، ويحاول محاكاته والتغلب عليه، فهو مجنون بحبها، وما جنون رمز العشق مجنون ليلى بجنون متى قورن بجنونه العظيم، هذا إلى كون الشاعر يتخيل أنه في زمان ومكان تراثيين، ويحيا تفاصيلهما كما يحياهما سابقوه من عشاق تلك العصور، فهو يبدو من شدة عشقه مثل سكران مضطرب يَجُرّ خطوه، وما إن يتنبه له الناس حتى يقرروا إقامة حد الجَلْد عليه، فيعينهم على ذلك مقترحاً أن يجلدوه بضفائر محبوبته.

(١) مزاجها زنجبيل، فواز اللعبون، ص: ٣٣.

وله قصيدة بعنوان «فتية آمنوا بربهم» يستحضر فيها خبراً تراثيّاً منسوباً للأصمعي (تـ: ٢١٦هـ- ٨٣١م) مع فتى عاشق دار بينهما سجال شعري ما توقف إلا بموت الشاب،[١] والشاعر لم يذكر الأصمعي وخبره، لكنه حيّا العشاق وذاد عنهم وفي ذهنه صورة العشاق الأوائل ذوي العفاف والسمو الذين يقضي عليهم العشق، أو يصيبهم بجنون، يقول:[٢]

سلامٌ على العُشاق ما سالَ مَدمَعُ ... وما الْتَهَبَتْ بالشوق والنارِ أضلُعُ
تَراهُمْ يُعانونَ الذي يكتمونَهُ ... وغيرُهمُ في لذةِ العيشِ يَرتَعُ!
أَحَبّوا فخافوا اللهَ في خَلَواتِهِمْ ... ولم يُغْوِهِمْ عن مسلكِ الطهرِ مَطمَعُ
إذا نزوةٌ نادت بهمْ أعرَضوا، وإنْ ... دعاهُمْ منادي المتقِينَ تجمّعوا

---

(١) الأرجح لي أن الخبر من تلك المُلَح التي تنسب للأصمعي ولا تَصِحّ، وذلك لخيالية تفاصيل الخبر، ولانفراد المصادر المتأخرة بذكره، ومن هذه المصادر «المستطرَف في كل فن مستظرَف» للأبشيهي (تـ: ٨٥٠هـ- ١٤٤٦م)، وجاء في الخبر أن الأصمعي حكى عن نفسه قائلا: بينما أنا أسير في البادية إذ مررتُ بحجر مكتوب عليه هذا البيت:

أيا مَعْشَرَ العُشّاق بالله خبِّروا ... إذا حلَّ عشقٌ بالفتى كيف يَصنعُ؟

فكتبتُ تحته:

يُداري هواهُ ثم يَكتُمُ سِرّهُ ... ويَخشعُ في كلِّ الأمورِ ويَخضعُ

ثم عدتُ في اليوم الثاني، فوجدتُ مكتوباً تحته:

فكيف يُداري والهوى قاتلُ الفتى ... وفي كلِّ يومٍ قلبُهُ يَتَقَطّعُ؟!

فكتبتُ تحته:

إذا لم يَجِدْ صَبْراً لكتمانِ سِرِّهِ ... فليس له شيءٌ سوى الموتِ أَنْفَعُ

ثم عدتُ في اليوم الثالث، فوجدتُ شاباً مُلْقى تحت ذلك الحجر ميتاً لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، وقد كَتَبَ قبل موته:

سَمِعْنا أَطَعْنا ثم متنا فبَلِّغوا ... سلامي على من كان للوصلِ يَمْنَعُ

يُنظر: المستطرَف في كل فن مستظرَف، أبو الفتح الأبشيهي، تحقيق: د. مفيد قميحة، دار الكتب العلمية، بيروت، ط: ٢، ١٤٠٦هـ- ١٩٨٦م، ٢/ ٣٦٦.

(٢) مزاجها زنجبيل، فواز اللعبون، ص: ٢٩.

يقومونَ جُلّ الليـلِ لا يَرقُدُونَـهُ ولائمُهـمْ فـوقَ الأرائـكِ يَهْجَـعُ
وفي ثُلُثِ الليـلِ الأخيـرِ تَـرَاهمُ يُناجونَ مَن يحنو علـيهم ويَسـمَعُ
أمانِيهمُ أن يَجمَعَ الطيـفُ بيـنَهُمْ بمجلِـسِ حُلْـمٍ والخلائـقُ هُجّـعُ
وكيف لمن لم يَرحَمِ الشوقُ قلبَـهُ ينامُ وفي لُقيَا المنامـاتِ يَطمَـعُ؟!
سلامٌ عليهمْ مـا أرقّ شُـجُونَهُمْ وما أعذبَ الآهاتِ والعـينُ تَـدمَعُ
سيَرحمُهُمْ ربـي ويَجْمَـعُ بيـنَهُمْ ويَهْـدَأُ مُشـتاقٌ ويَبْـرَأُ مُوجَـعُ

وَجْه اغتراب الشاعر هنا أنه لا يجد في العشق الجديد ما يكفـي مـن عفاف وسمو، لذلك ألمح إلى سجال الأصمعي والشاب، وقاربه شكلا ومعنى، وكأنه يعارضه معارضة تأييد وتأكيد وإعجاب.

وفي وجدانيات الشاعر الإيمانية نزعـة اغترابيـة تدفعـه للشـكوى والابتهال؛ ونصوصه تلك توحي بأنه قليل الانسجام مع نفسه وواقعه، يقول في افتتاحية قصيدته «أفراح اليقين»:(١)

لَـمْلِمْ بقاياكَ وارحَـلْ أيهـا الأرَقُ يَكادُ فجرُ الأماني البِـيضِ يَنبثِـقُ
يا حُزنَ يعقوبَ وعدُ الوصلِ مقتربٌ وأنتَ يا بحرَ موسى سوف تنفلِقُ

شيء من التفاؤل دفعه إلى ترقب آتٍ أفضل، واستلهم تفاؤله من نهاية أحزان يعقوب عليه السلام، ومن نجاة موسى عليه السلام، وانتصاره علـى أعدائه، وبعد أن واسى نفسه بهذه الجرعة قال:(٢)

ما لي أنا في أحاديثِ المنَـى ثقـةٌ لكنني بالـذي يُعطـي المنَـى أثـقُ
كلُ الأُلَى وَقَفوا لي عَثْـرةً عَثَـروا وكلُ مَن خَنَقـوا أحلامـيَ اختَنقـوا

(١) السابق، ص: ١٠٧.
(٢) السابق، ص: ١٠٧.

كم أَضرموا حوليَ النيرانَ فانقَلَبَتْ بَرْداً عليّ وهُمْ في جَوفِها احترَقوا
لأنهُ اللهُ لَمْ أَسألْ سِواهُ ولَمْ أَعبَأْ بمَن أَرهَبوا رُوحي ومَن سَرقوا
لأنهُ اللهُ أدري أن خاتمتي يوماً سيُشرِقُ مِن أضوائها الأُفُقُ

يعلق آمال الفرج والنصر بالجبار العظيم الذي نصر أولياءه، ودحر أعداءهم، وإن كان في البدء استلهم معاناة يعقوب وموسى عليهما السلام فإنه فيما بعد استلهم انتصار إبراهيم عليه السلام لمَّا ألقي في النار، فصارت عليه برداً وسلاما، وهذا كله يزيد من يقين الشاعر بربه، ويشعره أن معجزات النجاة والانتصار مستمرة، لكن بتفاصيل مختلفة.

ثمة من يكايد الشاعر، ويتربص به من منافسيه وأعدائه، وثمة نصوص وافرة تشير إلى حروب شعواء توالت عليه في بضعة أعوام حاسمة، ولعلها أعوام ظهوره اللافت في الفضاء الشبكي، وهذا ما ضاعف تعلقه بحبل ربه في نصوص إيمانية وافرة تشير تضاعيفها إلى معاناته من خصومات غير شريفة.

حتى وهو يناجي مولاه يلتمس منه مواساة جروحه، وهي جروح كروب وحروب وجد نفسه فيها، ولم يجد بُدّاً من مواجهتها، يقول في قصيدته «تعويذة روح»:[1]

الدمعُ لِلدمعِ يُوحي ومُطْبِقَاتٌ شِفاهي
والريحُ تَذرو سُفُوحي وحاجزُ العُمْرِ واهي
كم قلتُ للشمسِ: لُوحي وكم أضعتُ اتجاهي
لي حَيْرةٌ في وُضُوحي وغَفلةٌ في انتباهي

(١) السابق، ص: ١٠٣.

يَطُـــولُ عنـــي نُزُوحـــي إلـــى حُـــدودِ التَّمـــاهي
وأنثنـــي عـــن طُمُـــوحي بِخُـــفٍّ صـــمتي وآهـــي

في هذا العناء الكثيف من الحزن والضيق يجد الشاعر نفسه بعيداً عن نفسه، ويُصَرِّح باغتراب روحه ونزوحها الطويل عنه، حتى إذا ضـاقت بـه السبل وتمادى به التيه قال:(١)

يا قسوةَ الصـمتِ بُـوحي قد طال فـيَّ اشـتباهي
وأنـتَ يـا طِـبَّ رُوحـي ويـا مَـلاذي وجـاهي
إن لـم تُـوَاسِ جُروحـي فمَـن سِـواكَ إلهـي؟!

لا جدوى من الصمت، وفي المناجاة نجاة، فيبتهل إلـى الله ويناديـه بصفات يترقبها: (طب روحي، ملاذي، جاهي)، وهذه الصفات الثلاثة تعادل: (الشفاء، والأمان، والقوة)، وهي الضِّمَادات التي يحتاج إليها الشـاعر فـي حقبة استنزفَتْه أهوالُها.

وفي أحد أهم انتصاراته على مكايديه يشد الشاعر رحاله إلـى بـاب السماء براحلة صحراوية يزجيها حادي يقينه، وينيخ مطاياه ببـاب مـولاه، ويقدم قرابين الشكر والحمد، يقول في قصيدة «الطارق العُلْوي»:(٢)

على بابِكَ العُلْوِيِّ يا ربِّ حامـدُ إليكَ انتهتْ آمالُـهُ والمقاصـدُ
أنـاخَ مطايـاهُ وقَـرَّبَ هَدْيَـهُ وأَجهَشَ يُثني شاكراً وهْو ساجدُ
يُرتِّلُ فيكَ الحمدَ سِـرّاً وجهـرةً ودمعُ الرضا مِن مقلتيهِ قلائـدُ
لكَ الحمدُ يا ربَّ المحامـدِ كلمـا تدانتْ مَسَرّاتٌ وولّـتْ شـدائدُ

(١) السابق، ص: ١٠٣.
(٢) السابق، ص: ١٠٩.

لكَ الحمدُ ما ناجاكَ في الليلِ قائمٌ وصوتُ أساهُ بالشَّجا متصاعدُ
لكَ الحمدُ ما أخفى المواجعَ صامتٌ يكابِدُ من آلامِهِ ما يكابِدُ
لكَ الحمدُ كلُّ الحمدِ يا غايةَ المنى ويا سلوةَ الأوجاعِ والبُرْءُ شاهِدُ
حنانيكَ إن قصّرتُ في شكرِ نعمةٍ فنُعماكَ آلافٌ وعُمْري واحدُ

قصيدة تكشف عن روح مرهفة تشكو في الضراء، وتشكر في السراء، وأَعُدها من أعذب إيمانياته التي صورت حجم معاناته، وحجم فرحه بانكشافها، وحجم نبله وهو يقدم آيات الشكر في أبيات أظنها استطاعت ملامسة شغاف الأرواح الشفيفة.

المبحث الثالث: في الشعر الاجتماعي:

وهو من أهم مضامين الشعر الحديث، وأكثرها وضوحا، هذا إلى قربه من هموم الناس، وتعبيره عنهم، وتصويره لواقعهم.(١)

وقد اعتنى به عدد من الشعراء، وحملوا على عاتقهم عبء توجيه المجتمع مع أعبائهم الأخرى، ونادى إليه نقاد يرون أن للشعر رسالة إصلاحية وترويحية، وأن الشاعر ابن بيئته لا يجدر به أن ينفصم عنه منغلقاً على ذاته.(٢)

واللعبون في الأعوام الأخيرة يحتفي كثيراً بالشعر الاجتماعي، ولا سيما بعد أن انفتح على نوافذ التواصل الرقمية، وتحلّق حوله شُداة وهواة من مختلف المشارب والأعمار والأنحاء، وكأنه وجدها فرصة ليعبر عن ذاته وذواتهم في كل ما من شأنه أن ينهض بهم، ويزيدهم قوة.

وقد كان من غير المتوقع عندي أن أجد نزعة اغترابية في اجتماعيات اللعبون، بل كنت أستبعد ذلك أيما استبعاد، وذلك أن طبيعة الشعر الاجتماعي لا تكاد تتسع للعمق الاغترابي الذي يتسع له الشعر التأملي والوجداني، غير أني لمست نزعات اغترابية قوية الحضور تؤكد أن اغتراب الشاعر حقيقة لا تَرَف.

---

(١) يُنظر: في علم اجتماع الأدب، محمد كسبر، والسعيد الورقي، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ١٩٩٥م، ص: ٣٥.

(٢) يُنظر: الاتجاهات الأدبية في العالم العربي الحديث، أنيس المقدسي، دار العلم للملايين، بيروت، ط: ٧، ١٩٨٢م، ص: ١٩٥.

كثيراً ما نادى الشاعر إلى الاعتزاز بالهُوية، ونافح عن الأصالة، وحذر من الانسلاخ عن الماضي والجذور، وكان يسلك إلى ذلك أساليب متنوعة، لعل أهمها أسلوب القدوة الذي يجعل نفسه من خلاله مثالاً يصلح للاحتذاء، ومن ذلك قصيدته «غريب في زمن بعيد» التي اعتز فيها بواقعه وتراثه وأصالته، ورأى من خلالها أن أشياءه الصغيرة أضخم وأعظم من منجزات عصر القشور، يقول:(١)

أنا الغنيُّ هنا بئري ونخلُ أبي ... ولي مِن الزادِ ما تُلقي شماريخي
لم تُنسِني ناطحاتُ السحْبِ مُنقلَبي ... وما مَحا عصرُكمْ أمجادَ تاريخي
أنسابُ مِن بين أطلالي إلى كُتُبي ... وأرتدي سَمْتَ شيخٍ قبلَ تشييخي
في بيتيَ الطينِ أستعلي على شُهُبي ... وأجتلي في مَدارِ الروحِ مِرّيخي
هذا الفضاءُ الذي استولى على عَجَبي ... غَزَتْهُ من أوّلِ الدنيا صواريخي

الشاعر لم يسكن غير مدينة الرياض، وفيها ولادته ونشأته وأسرته وعمله، ولم يسكن بلدة أجداده قط، ولا بيوتهم الطينية صالحة للسكنى، فما شأن بيته الطيني وبئره ونخل أبيه؟

إنه ينفصل عن واقعه الصعب، ويصنع عالمه الافتراضي المحبب الذي يجد فيه ذاته وطمأنينته، وتهدأ فيه روحه من صخب الحياة، وضجيج الحضارة.

هناك عالمه الصغير الذي يحبه، ويعتز به، ويستمد منه القوة والرضا، وهو يوجه رسالة مفادها أن التمسك بالجذور هو التحضر الحقيقي، وهو النهضة المادية والروحية معا، ويوحي الشاعر إلى أفراد مجتمعه بأن مرود

(١) مزاجها زنجبيل، فواز اللعبون، ص: ١٧.

التمسك بالجذور شموخ يسمو بالروح فوق ناطحات السحب، واكتشافات الفضاء، فيدعوهم إلى الماضي العريق، وحين يشعر أن لا أحد يقتفي خطاه، ويلمح في عيونهم نظرات استنكار واستهجان، يَقنع بما هو أقل، ويطلب منهم أن يتركوه في عالمه، ولهم أن يبقوا في عوالمهم، يقول ولوعته تتحشرج في حرفه:(١)

لا تستهينوا بضعفي واتّقوا غَضَبي ولا تُطيلوا معاناتي بتوبيخي
أعرضتُ عنكمْ فلا تقسوا على تَعَبي يكفي الزمانُ الذي غالَى بتدويخي

وللشاعر جملة نصوص اجتماعية يدعو فيها إلى الألفة والمحبة، ونبذ الخلاف والكراهية، وهو يعالج هذا المضمون باستحضار صور الأنبياء والمصلحين، وإسقاط معاناتهم على ذاته، فهو حين يصلح لا يتوجه إلى الإصلاح مباشرة، بل ينسحب من واقعه، ويعود إلى أزمان أُولى، ويتقمص فيها تجارب القدوات، ويحيا تفاصيلهم مع تغييرٍ عميق الدلالة، ثم يبث رسائله الإصلاحية مصحوبة بالإثارة والتشويق.

ومن نصوصه تلك قصيدته «طلاسم على ألواح الشعر» التي استحضر فيها جملة تفاصيل مذكورة في القرآن الكريم في المواجهة بين الخير والشر، ولا سيما قصة موسى عليه السلام، وكيف حورب، وكيف قاوم حتى ارتَكَس أعاديه، وتم له ما أراد، يقول واصفاً بدء رحلة الشتات:(٢)

على دُروبِ النَّوَى كم طالَ بي المَسْرَى أَسْري ولا أنتهي سُبحانَ مَن أَسْرَى
قَتَلْتُ نفسيَ فادّارَأْتُ مُنتظِراً مِن فاقعٍ لونُها أُعجُوبةً كُبْرَى

(١) مزاجها زنجبيل، فواز اللعبون، ص: ١٧.
(٢) السابق، ص: ٢١.

كم قَلّبُوها على بعضي ومُـذ يَئسـوا قلتُ: اضربوني ببعضي مَرّةً أُخْرَى
وحينَها قُمْتُ جَعْـدَ الشَّـعْرِ مُعترِفـاً بـأنني قـاتلي فلْتَطْلُبـوا الثـأْرا
ولم أَزَلْ في فِجَـاجِ الأرضِ مُنبعِثـاً أُخْفي خُطَاي وأرجو مَطلَعَ البُشْرَى

يستحضر الشاعر خبر غلام بني إسرائيل الذي قتله أحدهم، وما عرفوا قاتله إلا بعد أن ضربوا الغلام ببعض أجزاء بقـرة صـفراء فـاقع لونهـا، والشاعر هنا هو المقتول والقاتل، وهو المنادي بأخذ الثأر، وهو الهارب من الثأر، فماذا قَتل؟ ولماذا؟

يبدو أن إنسانه النقي قتل إنسانه الرديء داخله، فبقي نقيّـاً خالصـا، غير أن الناس لم يعجبهم نقاؤه التام، وتفرده عنهم بما ليس فـيهم، ولـذا طاردوه للأخذ بالثأر، وراح هو يطلب النجاة.

وبعد أن مهد الشاعر بتلك المقدمة، وبعثـه الله حيّـاً والقـوم خلفـه يطلبون الثأر يسرد ما كان له مواقف ومغامرات يستلهم فيها أشد مما كـان لموسى مع فرعون وجنوده، يقول:(١)

خَلْفي الفراعِينُ لا أُحصي لهمْ عَدَداً ولا أُطِيـقُ علـى أهـوالِهِمْ صَـبْرا
معي عَصَا الشِّعرِ لم تَلْقَفْ خَوارِقَهُمْ ولـم تَشُـقَّ إلـى مَنجاتِهـا بَحـرا
أَنْسَلُّ مِن جِهَةٍ تَبـدو إلـى جِهَـةٍ وأسألُ الناسَ مَن منكمْ رأَى الخِضْرا؟
حتى إذا مَجْمَعُ البحرينِ حاصَـرَني رسَا على ضِـفّتَيهِ زَورقـي دَهْـرا
فكمْ سَـفِينةِ آمـالٍ نجـوتُ بهـا مِن كلِّ مُغتَصِبٍ يحوي المُنَى قَهْـرا
وكم غلامٍ زَكِيِّ النَّفْسِ قلـتُ لـهُ: بالحُبِّ نَستَأْصِـلُ الطُّغيـانَ والكُفْـرا
وفـي المدينـةِ أحـلامٌ مُحَطَّمَـةٌ أَقَمْتُها أَبتغـي مِـن خـالقي أَجْـرا

(١) مزاجها زنجبيل، فواز اللعبون، ص: ٢١.

وحَوْلَ مَدْيَنَ تَرْعَى الطُّهْـرَ سَـيِّدةٌ لا بُدَّ أَمْكُـثُ فـي جَنّاتِهـا عَشْـرا
والسّامِرِيُّ الذي قاسَـمْتُهُ شَـجَني أَراهُ يُضْـمِرُ فـي أحشـائهِ غَـدْرا

يتلبّس الشاعرُ أدوارَ موسى والخضر في آن واحـد، وكـان القاتـلَ والمقتولَ من قبل، وهو حين يغيّر في مجريات الأحـداث الأصـلية يحـاول تحفيز المتلقي إلى تأمل وجوه الاختلاف، وفهم دواعي التغيير، ولعله –وقد جعل نفسه القاتل المقتول والقائم بأدوار موسـى والخضـر– يرغـب فـي الاستئثار بكل المشاهد، وأن يظل قطب الحركة داخل النص من أولـه إلـى آخره، وربما دل هذا على نرجسية الشاعر، وربما دل علـى تحرجـه مـن المجيء بالتفاصيل الدقيقة كما هي حتى لا يساء الظن بغايته من استحضـار قصص الأنبياء.

الأبيات تؤكد أن الشاعر في مهمة إصلاحية شاقة، وأن أعداء الإصلاح يسعون إلى القضاء عليه، وهو حين يستحضر أدوار موسى والخضر يريـد أن يعطي مهمته قداسة ومصداقية، ويريد أن يشيطن خصومه، وبذلك يكسب تعاطف المتلقي، وتكون رسالته الإصلاحية أكثر قابلية.

ويفصح في نهاية القصيدة عن مآلات الصراع بين الخير والشر، وأنه ما زال في منتصف الطريق معتقداً أن القادم أجمل، يقول:(١)

مُبَعثَـرٌ لسـتُ أدري مـا أُقَدِّمُـهُ وما أُؤَخِّرُهُ في بِعْثتي الصُّـغْرَى
لكنني رَغْـمَ هـذا التِّيـهِ مُعتَقِـدٌ بأنّ خَلْفَ عباءاتِ الدُّجَى فَجْـرا
وأنّ في الطُّورِ عِجْلاً سوفَ أذبحُـهُ لِيُعْبَدَ اللهُ فـي أرواحِنـا جَهْـرا

(١) مزاجها زنجبيل، فواز اللعبون، ص: ٢١.

إذن هو يسعى إلى نشر الخير، والقضاء على الشر، ليُعبَد الله عبادة يقين.. عبادة روح لبارئ الروح، فبهذا يعم السلام، وتحلو الحياة.

وأكثر ما يؤرق الشاعر في مجتمعه فشو روح الكراهية بين بعض فئاته، وتفنن بعضهم في الكيد لبعض، فكان ينادي بالحب، ويَحلُم بفشوّ روح السلام والوئام.

في قصيدته «طُور الحُبّ» يستحضر خبر عجل السامري الذي عبده بنو إسرائيل، وعصوا فيه الله الذي فضّلَهم ونجّاهم، وتجاهلوا توجيهات موسى متمردين على أخيه هارون عليهما السلام، يستحضر هذا كله ويغير في مجريات الأحداث تغييراً يجلي غايته وحُلمه في إصلاح مجتمعه، يقول:(١)

عجلٌ من التِّبْرِ بعضُ القومِ يعبدُهُ ... صَهَرتُهُ كُلَّهُ في جَوفِ تنّوري
وصُغتُ منهُ قِلاداتٍ وأَسورَةً ... وطفتُ في الأرضِ أُهدِيها إلى الحُورِ
والمؤمنونَ بهِ ماضونَ في طلبي ... يستتبعونَ الخُطا بالأعينِ العورِ
أنسَلُّ من جهةٍ عنهمْ إلى جهةٍ ... وأنثر الحُبَّ في الأحياءِ والدُّورِ
وحدي أُبَلِّغُ وَحْيَ الحُبِّ لا شِيَعٌ ... ولا سَنَا قَبَسٍ يجتاحُ ديجوري
ما زلتُ أَضرِبُ في الآفاق منتعِلاً ... تِيهي، وكم سامريٍّ لاح في طُوري
ظمآنُ والليلُ باقٍ لا يُبارحُني ... يا ربِّ يا ربِّ شَلالاً مِن النُّورِ

العجل المصنوع من الذهب الذي أغوى القوم يصهره الشاعر، ويصنع منه قلادات وأساور ليهديها إلى الحُور مكامن الحُب وحمَامات السلام، غير أن القوم لا يعجبهم ذلك، فيطاردونه، وهو ينسلّ منهم في فِجَاج الأرض، ويظل يُبَلِّغ الناس شريعة الحب والنقاء، غير أنه وحيد لا ناصر له، ولا حتى

(١) مزاجها زنجبيل، فواز اللعبون، ص: ١١.

قبس يجد منه هدى، والعيون ترصده، وكلما سار في اتجاه وحل في مكان ظهر له سامريٌّ جديد، وهذا ما جعل مهمته تتعثر، ويشعر أن ليل الكراهية يمد أطنابه، ويخنقه الظمأ إلى الحب، فيسأل الله شلالاً من النور يعيد إليه الحيوية والأمل.

وفي قصيدته «طلسم الخلود» يضيق الشاعر من شغف مجتمعه بالدنيا ومباهجها، وزهدهم بمعاني النُّبل، يقول مشيراً إلى عهد قطعه على نفسه بأن يبقى متمسكاً بأصالته رغم كل المغريات:(١)

أنا على العهدِ باقٍ لا يغيّرُني ... تَقَلُّبُ الناسِ من حالٍ إلى حالِ
غيري تُغَيِّرُهُ الدنيا إذا لَمَعَتْ ... له ويُرْخِصُ ذكرى الغابرِ الغالي
ما زَهّدَتْني بماضي العيشِ بارِقةٌ ... من الحضارةِ أو وَفْرٌ من المالِ
راضٍ أنا بقليلي لن أُبَدِّلَهُ ... ما لي أنا ورزايا عَيشِكمْ ما لي؟!
لي في الوفاءِ هواءٌ مَن تَنَفّسَهُ ... سَمَتْ بهِ رُوحُهُ نحوَ المَدَى العالي
أنا هناكَ ولي في الصدق أُغْنِيَةٌ ... يوماً ستَسكُنُكُمْ في شكلِ موّالِ
لن تَفهمُوها ولكنْ سوفَ يَشْرَحُها ... للواقِفِينَ بقبري جِيلُنا التالي

يشير إلى أن مباهج الحياة بين يديه لو شاءها، وأن لديه كل مفاتيحها وإمكاناتها، غير أنه يدرك أن لها أثماناً لا يستطيعها، هذا إلى أن قليله أحب إليه من كثيرهم الذي يجلب الرزايا، وحسْبه من ذلك كله أن يحيا وفيّاً لمبادئه وقِيَمه التي يجد فيها معاني السمو، وهي معانٍ لا يفهمها جيله اللاهث وراء اللذات، إنما ستفهمها أجيال جديدة أكثر وعياً تأتي بعد زمن،

وتكتشف ما استعصى على بلادة الجيل السابق، ومن ثم يعرفون قَدْر الشاعر ونُبله، ويقفون على قبره وقوف المعترفين به وبأهدافه وغاياته.

ومما يؤكد توغل الاغتراب في وجدان الشاعر أن قصائده الإخوانية التي بينه وبين خُلَّص أصدقائه تضج بنبرات الوحشة والانفصال، يقول في قصيدته «توأم الروح»:(١)

رَفِيْقُ عُمْرِكَ مِنْ مَاضِيْهِ وَافَاكَا ... يَرْنُو لِطَيْفِ صِبَاهُ فِي مُحَيّاكا
أَوْدَعْتُ فِيْكَ الذي اسْتَثْمَرْتُهُ زَمَناً ... والآنَ طَابَ لِصَافِي الوُدِّ مَجْنَاكا
عُمْرِي الذي كُنْتَ عُمْراً مِنْ طُفُوْلَتِهِ ... ما زِلْتَ تَرْعَاهُ لَمَّا ظَلَّ يَرْعَاكا
كُنّا مَعاً مَا خَلَتْ ذِكْرَايَ مِنْكَ، وَلا ... يَوْماً حَثَثْتُ الخُطَا إلاّ لأَلْقَاكا
خَمْسٌ وعِشْرُوْنَ مَا شَوَّهْتُ رَوْنَقَها ... ولا نَقَشْتُ عَلَيْهَا غَيْرَ ذِكْرَاكا
مَا انْتَابَنِي أَبَداً هَمٌّ أَضِيْقُ بِهِ ... إلاّ وَضَاقَتْ بِهِ أَيْضاً حَنَايَاكا
ولا تَغَرْغَرَ في عَيْنَيَّ دَمْعُهُمَا ... إلاّ وَسَحَّتْ غَزِيْرَ الدَّمْعِ عَيْنَاكا
ولا تَبَاعَدَ بي عَنْ شَاطِئِي عَبَثِي ... إلاّ ومَدَّتْ إلَيَّ الطَّوْقَ يُمْنَاكا
ولا تَقَاذَفَتِ البَلْوَى عَلَى أَمَلِي ... إلاّ وأَقْحَمْتَ دُوْنِي جَيْشَ بَلْوَاكا
ولا تَغَانَمْتُ في البُشْرَى ابْتِسَامَتَها ... إلاّ وضَاءتْ مِنَ البُشْرَى ثَنَايَاكا

مع أن القصيدة وفاء وامتنان من الشاعر لصديقه الوفي الذي حَرّك أسطولاً طبيّاً لما مرض الشاعر في بعض أسفاره، حتى كتب الله له السلامة، بدت الأبيات مشحونة بالشجن الاغترابي، فراح يستحضر البدايات الأولى، وعمر صداقتهما، وبعض المواقف النبيلة بينهما، وهو بذلك يبدي اعتزازه

(١) مزاجها زنجبيل، فواز اللعبون، ص: ٥٥.

الشديد بصديقه، ووفاءه المطلق له، لا لأنه يستحق فحسب، بل لأن صديقه نادر الوجود، لا مثيل له في زمن شحيح بالكرام.

المناسبة مناسبة نجاة، وشُكر عليها، والشاعر يدفع بها إلى مسار الحنين إلى الماضي، والضيق من حاضر يخلو من أمثال صديقه الأصيل النبيل الذي يراه ملء جهات الأرض، يقول:(١)

كَمْ غَابَ غَيْرُكَ لَمْ أَشْعُرْ بِغَيْبَتِهِ ... وأَنْتَ إنْ غِبْتَ لاحَتْ لي سَجَايَاكا
أَرَاكَ مِلْءَ جِهَاتِ الأَرْضِ مُنْعَكِساً ... كَأَنَّمَا هَذِهِ الدُّنْيَا مَرَايَاكا
عُمْرٌ مِنَ الصِّدْقِ لَوْ أَنَّا نُقَسِّمُهُ ... في النَّاسِ لَمْ تَلْقَ بَيْنَ النَّاسِ أَفَّاكا

ومما يؤكد نفاسة هذا الصديق قصيدة «أصحاب الظل» التي يقر فيها الشاعر بكثرة الأصدقاء حوله، لكنهم رغم إيجابيتهم يعتريهم ما يعتريهم من قصور، ومتى الْتقى قصور من هذا النوع وحساسية مُفْرِطَة نجم عن ذلك شعور بالضيق، ثم تولد عن الضيق شعور اغترابي يدفع الشاعر إلى الشكوى من الرفاق جملة وتفصيلا، يقول في القصيدة:(٢)

رفاقي نجومٌ في سماءِ مودّتي ... يُضيئونَ لي قلبي وليلَ شُجُوني
أُحَدِّثُهمْ عن خافِياتِ مشاعري ... وأحكي لهمْ هَمْسَ الهوى بعُيوني
يُحِيطونَ بي في الصَّفْوِ مِن كلِّ جانبٍ ... ويَفْدُونني بالروحِ إن فَقَدُوني
مضَى زَمَنٌ لم يَحكُمِ الهجرُ بيننا ... وما خَيَّبُوا يوماً جميلَ ظُنُوني

إلى الآن والأمور كما يجب، فما الذي جَدّ؟ يُكمِل ويقول:(٣)

---

(١) مزاجها زنجبيل، فواز اللعبون، ص: ٥٥.
(٢) السابق، ص: ٧٣.
(٣) السابق، ص: ٧٣.

ولكنني لمّا طَغَتْ بـي مـواجعي وحاصَرَني مَوجُ الأسـى تَركـوني!
هَمَسْتُ لهمْ سِرّاً فلـم يَتَلَفّتُـوا! ونـاديتُهُمْ جَهْـراً فمـا سَـمِعُوني!
إلى اللهِ أشكو من رفاقي قسـاوةً تُقَرّبُ لـي قَبـلَ المَنُـونِ مَنُـوني
وما «ابْنُ جَلا» إلا أنا غيرَ أننـي متى طاب لي صَفْوُ الهوى عَرَفوني!

جاءت بداية القصيدة مبشرة برفاق كرام يضيئون ليل الشاعر، وطالما عكس الليل آلام الضاجّ بالاغتراب، وحكى جانبا من معاناته الإنسانية،(١) كما أن «لليل مدلولات كثيرة تختلف من شاعر إلى آخر اختلافاً ينبع من الحالـة النفسية التي هو عليها، وبالتالي يحمل الليل باستمرار رموزاً متنوعة».(٢)

فالليل هنا زمان قديم ليس بالزمان الأمثل، لكن التفاف رفاقه حواليـه آنذاك جعله أمثل زمان، لقد كانوا يصغون إلى حكاياته، ويبحثـون عنـه إن فقدوه، ولم يحدث بينهم ما يَكره، وما خيَّبوا ظنه بهم، لكنه لما اشتدت بـه مواجعه في بعض المواقف تلفّتَ يبحث عنهم، فلم يجـدهم، ونـاداهم فمـا سمعوه، مما جعل الشاعر يرى فيهم نوعاً من القسوة، ويعود إلـى شـجوه المحبب في ليله المَهِيب.

ويمتد هذا الشجو حتى مع أولئك الذين يبدو ظاهر ما يفعلونه حسنا.. الذين يحاولون إسعاد غيرهم ومساعدتهم، ورغم ذلك يحذر الشـاعر مـنهم مؤمناً أنه لا أحد يسعد ويساعد إلا وهو يأمل أعظم مما يقـدم، يقـول فـي قصيدته «خريف الأقنعة»:(٣)

---

(١) يُنظر: ظاهرة الاغتراب عند شعراء المعلقات، مي خليف، دار الثقافـة للنشـر والتوزيـع، القاهرة، ١٩٩١م، ص: ٢٤.
(٢) التمرد والغربة في الشعر الجاهلي، عبـدالقادر زيـدان، دار الوفـاء، الإسـكندرية، ط:١، ٢٠٠٣م، ص: ١٧٢.
(٣) مزاجها زنجبيل، فواز اللعبون، ص: ٧٥.

ذاكَ الذي أَهْدَى فُؤادَكَ فرحـــةً أَتَظُنُّـــهُ لِسَـــوادِ عَينِـــكَ أَفرَحَـــكْ
عَمّا قريبٍ سوف تَتَّضِحُ الرُّؤَى وتَرَى وُجُوهَ الزَّيفِ تَمْـــلأُ مَســـرَحَكْ
لا تَرْجُ أفراحَ الحياةِ مِن الورَى سَلْ مـــانِحَ الأفـــراحِ حتـــى يَمنَحَـــكْ
ما ثَمّ فـــي دُنيـــاكَ إلا خـــاذِلٌ إن رُمتَ منهُ شِفاءَ جُرْحِـــكَ جَرِّحَـــكْ

ولما أحس الشاعر أن هناك من سيستنكر غرابة موقفه وتحذيره ممن يبادر للإسعاد والمساعدة وضّحَ موقفه بقوله:(١)

هِيَ زفرةٌ في أضلعي ضاقَتْ بهـــا نَفْسي فثارَتْ كالرياحِ لِتَلْفَحَـــكْ
أَدري بـــأني زِدتُ قَلْبَـــكَ تَرْحَـــةً ولرُبّما أَنجَاكَ ما قـــد أَترَحَـــكْ
خوفي عليكَ مِن اجتراحاتِ الأسى أَوْحَى إليّ بأنْ أَبُوحَ وأَنصَحَكْ
مِنْ حَولِكَ الأوغادُ تَسْرَحُ فاحترِسْ مِنْ صاحبٍ يُخفي يَدَيهِ لِيَذبَحَكْ
وأَكادُ أَجْزِمُ لو شَـــعَرتَ بلـــوعتي لَنَقَشْتَ في لَوْحِ البُكاءِ مُوَشَّحَكْ

إذَنْ لقد مر الشاعر بتجارب تؤكد أن الإسعاد والمساعدة ليسا ســـوى طعم لاصطياد ما هو أعظم، ويبدو الشاعر عاجزاً عن ذكر التفاصيل، لكنـــه يوجزها بوصف أثر معاناته التي لو شعر بها أحد لنَقش فـــي لـــوح البكـــاء موشَّحَه.

ويبدو الشاعر في نصوص أخرى قليل التصالح مع فئات من النـــاس، رائياً فيهم وجوه الأذى فحسب، يقول في قصيدته «وعد النهوض»:(٢)

لا تكتـــرِثْ بالهـــازئينَ فطالمـــا هَزَؤُوا وفي أحشائهمْ نارُ الغضا

(١) مزاجها زنجبيل، فواز اللعبون، ص: ٧٥.
(٢) السابق، ص: ٩٧.

سيُنيلُكَ الــرحمنُ مــن أفضــالهِ ويَرونَ كيف تدورُ أفلاكُ الرضــا
دربُ النجــاحِ طويلــةٌ حَسَــراتُهُ لكنــهُ مــا طــال إلا وانقَضَــى

يشكو الشاعر من فئة من الناس تكايد الناجحين والمــؤثرين، وتبــث الإحباط في نفوسهم، ويحذر منهم الآخرين، ويذكر بعض نماذجهم:(١)

انظر بعينِكَ كــم حســودٍ كــامنٍ يُبدي الودادَ جَنَى عليكَ وحَرَّضا
وكمِ انتَضَى لكَ سيفَ خِسّــتِهِ أخٌ قد كنتَ تحسَبُهُ أخاكَ المرتَضَــى
وكمِ انزَوَى لكَ في الزوايا نــاقمٌ وبكلِّ أفعــالِ الحــرامِ تَمَخّضــا

والجميل أن الشاعر بعد هذا التحذير، وذِكر النماذج المســيئة، يخــتم قصيدته برؤية تفاؤلية جعلت المتلقي يلتمس العــذر للشــاعر فــي بعــض اغترابياته، يقول:(٢)

دارت علــيهمْ كلِّهــمْ خَيبــاتُهمْ وتَعثروا وبَقِيتَ أنــت لِتَنهَضــا

نهاية جميلة غير متوقعة في نص اغترابي، ومــن عــرف نصــوص الشاعر الأخرى عرف أن له نصوصاً تفاؤلية وافرة، ونصوصاً أخرى موغلة في الاغتراب النازع لبعض التشاؤم، ونصوصاً أخرى تجسد الواقع بنوع من الموضوعية، فيجتمع فيها نَفَس اغترابي، وآخر تفاؤلي كهذا النص.

(١) مزاجها زنجبيل، فواز اللعبون، ص: ٩٧.
(٢) السابق، ص: ٩٧.

الفصل الثاني: أنماط الاغتراب:

المبحث الأول: الاغتراب الزماني:

وهو نمط يشعر فيه الشاعر بأنه في غير زمانه، ويتطلع فيه إلى زمن قديم عاشه، أو إلى زمن عتيق أَلَمَّ به في صفحات كتاب، أو إلى زمن لم يأتِ بعد.

يجد الشاعر في هذا الهروب راحته، «ويختار لنفسه بيئة أخرى يحيا بروحه فيها، ويحلق في أجوائها بخياله، ويجد فيها ما يتصوره من فسيح رحابها عِوَضاً عما ضاق به في بيئته التي لم يعد يحتملها».(١)

إنه يحاول ألا يعيش زمانه، فيتجاوز حاضره إلى مستقبل زمني، أو إلى ماضٍ تاريخي ينشد في ضالته، وقد يدفعه هروبه من الواقع إلى أن يغرق في ضروب من أوهام العقل والقلب.(٢)

هذا النمط الاغترابي يجعل المبدع في حيرة من وجوده، غير متقبل لحاضره، ولا متصالح مع الواقع، معتقداً أنه في الزمن الرديء إن لم يكن الأردأ،(٣) فيبدو قَلِقاً من الحياة والموت والجيل والحضارة وما شابه ذلك، وكأنه غير مُنْتَمٍ حتى إلى ذاته، وكل ما يسعى إليه أن يجد طريقا للعودة إلى

---

(١) الحنين والغربة في الشعر العربي الحديث، ماهر فهمي، معهد البحوث والدراسات الأدبية، بيروت، ط: ١، ١٩٧٠م، ص: ٣٧.

(٢) يُنظر: الرومانتيكية، د. محمد غنيمي هلال، دار العودة، بيروت، ١٩٨٦م، ص: ٨٥.

(٣) يُنظر: الاغتراب في الشعر التركي والعربي المعاصر، د. عبدالرزاق بركات، دار القلم، الكويت، ط:١، ٢٠٠٧م، ص: ١٧١.

نفسه،[١] وقد يصبح الهروب من واقعه وسيلته للخلاص من الاعتراف بالعجز عن التأقلم، وتأنيب الضمير.[٢]

ومن مهيّجات هذا النوع من الاغتراب شعور الفرد بأنه رقم على اليسار لا تأثير له في واقعه، ولا أحد يصغي له، أو يَعتَدّ بما يقول.[٣]

ويبدو الاغتراب الزماني عميق الغور مقارنة بالاغتراب المكاني؛ إذ إن «المكان ثابت نسبيّا، أما الزمان فمتغير، وبالتالي فتأثيره النفسي على الإنسان أكثر غموضاً أيضا، فالإنسان قد يشاهد شيئاً معيَّنا، أو يحس بإحدى الحواس الخمس، أو بأكثر من حاسّة واحدة، بينما يحتاج الإحساس بالزمن إلى الحاسّة الفكرية أو الذهنية».[٤]

في قصيدته «نقش على اليَمّ» يسافر الشاعر اللعبون إلى زمان قديم حيث مسرح يونس عليه السلام والحوت، ويحيا قصة مشابهة يروي شيئاً من تفاصيلها بإلماحات وإسقاطات غير خافية، يقول:[٥]

بينَ انطفاءاتِ رُوحي واشتعالاتي ... قَلْبٌ يُقَلِّبُهُ إعصارُكَ العاتي
انبُذْهُ في اليَمِّ هذا النُّونُ مُرتَقِبٌ ... وها هُوَ اللهُ يُصغي لابتهالاتي

(١) يُنظر: اللامنتمي، كولن ولسون، ترجمة: أنيس حسن، دار الآداب، بيروت، ١٩٨٩، ص: ١٧٣.
(٢) يُنظر: الاغتراب في شعر نازك الملائكة، د. ساجدة التميمي، دار غيداء للنشر والتوزيع، عَمّان، ط: ١، ١٤٣٧هـ- ٢٠١٧م، ص: ١٢٤.
(٣) يُنظر: الاغتراب والتطرف نحو العنف: دراسة نفسية اجتماعية، محمد عبدالمختار، دار غريب، القاهرة، ١٩٩٨م، ص: ٩١.
(٤) الاغتراب: دراسة تحليلية لشخصيات الطاهر بن جلون الروائية، يحيى العبدالله، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط:١، ٢٠٠٥م، ص: ٢٨.
(٥) مزاجها زنجبيل، فواز اللعبون، ص: ١٥.

وفي ضِفَافِ الرِّضَا يَقْطِينةٌ نَبَتَتْ وتلــكَ أوراقُهــا تَمْتَــدُّ للآتــي
ماذا أخافُ وفي جنبــيّ مُعْجِــزَةٌ قُدْسِيَّةُ الحَرْفِ غَرّاءُ العَلاماتِ؟
والمؤمنونَ بها زادوا على مِئَــةٍ مِنَ الأُلُوفِ وما ضاقَتْ بِهِمْ ذاتي
أَتْلُو عليهِمْ تَعَاويــذي وأُنشِــدُهُمْ بَقِيَّــةً مِــنْ قَــوَافٍ بَابِلِيّــاتِ
عَلَّمْتُهُمْ كيف يُفْني الكُرْهُ عالَمَنــا وكيف بالحُبِّ نَسمو للسَّــماواتِ
ما كَذَّبُوني وما غاضَــبْتُهُمْ أَبَــداً وطالما بَلَّغُــوا لِلنَّــاسِ آيــاتي

يمتزج الزمان بالمكان في (بابل) حيث قوافيه البابلية، ويتبــاهى بــأن المؤمنين بمضامينها السامية بالألوف، وهم ألوف أَلَّفَ الحُبُّ بين قلــوبهم، فازدادوا قوة على قوة، وهذه أسباب قوتهم:(١)

لستُ الضعيفَ الذي يَخْشَى أَعادِيَــهُ والطاهرونَ جميعاً تحــتَ رايــاتي
لنا مِنَ الحُبِّ جَــيْشٌ لا عِــدادَ لَــهُ سِــــجِلُّهُ يَتَبَــــاهَى بِــــالبُطُولاتِ
غَــداً ســأُكْمِلُ لِلعُشّــاق بَــوحَهُمُ وأرتقي في المَــداراتِ المُضــيئاتِ
خَلِيفتــي بَيْــنَهُمْ حَرْفــي، ونائبُــهُ ذِكرى مِنَ الحُبِّ تُحْيي مَيْتَ أشتاتي

تجنيح في زمان بعيد يختلف كليّاً عن أعراف زمانه وأحواله وناســه، وكأنه يؤكد أنه منفصل عن زمانه الحقيقي، غير راض عنــه، ولــذا يلــوذ بأزمان أولى مستحضراً أحداثاً سابقة، ومُسْقِطاً بعضها عليه.

وإن كان اللعبون يهرب من زمانه إلى زمان قديم ليجد ذاته فإنــه قــد يفعل الفعل نفسه ومع ذلك لا يشتفي، ولا يجد ما يبحث عنــه، يقــول فــي قصيدته «الفردوس الموجود»:(٢)

في مُقلتــيَّ انكِســاراتٌ أقاومُهــا وفي الحَشَا أَلْفُ خِــذلانٍ أُدَارِيــهِ

(١) مزاجها زنجبيل، فواز اللعبون، ص: ١٥.
(٢) السابق، ص: ٢٦.

أَمَامِيَ الموتُ يبدو فاغراً فَمَهُ ... وخَلْفِيَ البحرُ تَطويني دَواهِيهِ
وعن يميني حَبِيبٌ خانَ مَوثِقَهُ ... وعن شِمالي صديقٌ لا أُصافِيهِ
وتحتيَ الأرضُ قد مادتْ جوانِبُها ... وفوقيَ الأُفْقُ قد سُدَّتْ نَواحِيهِ
وطارقي ابْنُ زيادٍ ماتَ مِن زَمَنٍ ... ولم أَزَلْ أَتَوارَى مِن أَعَادِيهِ
وكلَّما لَمَحَتْ عَيناياَ أندلُسي ... تَلَهَّبَ القلبُ مُشتاقاً لماضيهِ

ارتحَلَ إلى زمن القوة والفتوحات، وعاش مغامرة أحد أبطال الزمن القديم (طارق بن زياد) بمعظم تفاصيلها، لكنها ارتدَّتْ عليه بانعكاسات لم يتوقعها، فلم يصل إلى ما يريد، ولم يجد ما يبحث عنه، وختم قصيدته بهذا الإعلان الحزين:(١)

مولايَ لا أَحَدٌ يُصغي إليّ ولا ... خِلٌّ يُلَبِّي نِدائي إذ أُناديهِ
ناديتُ ناديتُ وارتَدَّ الصَّدَى وَجَعاً ... فمَنْ سِواكَ بأوجاعي أُناجيهِ؟!

لاذ بطريقته المفضلة حين يشتد به التيه، وهي المناجاة.

وبحث اللعبون عن ذاته في الزمان القديم متكرر في شعره، يقول في قصيدته «براءة من زمن قديم»:(٢)

أبصرتُها كالنُّورِ يجتاحُ الدُّنَى ... عندَ احمرارِ الأُفقِ قبلَ المُنْحَنَى
كانت جميلةَ طَلْعةٍ بَسّامَةً ... تمشي مُخَفَّرَةً بهالاتِ المُنَى
ناديتُها فرَنَتْ إليّ وسَلّمَتْ ... وكأننا مِن قَبلُ نَعرِفُ بعضَنا
مَن أنتِ؟ صوتُكِ لستُ أجهلُ همسَهُ ... وبهاءُ وجهِكِ ليس مجهولَ السنا
قالت: أَتَذكرُ في صِباكَ براءةً ... سكَنَتْ فؤادَكَ حِقبةً؟ هذي أنا

(١) مزاجها زنجبيل، فواز اللعبون، ص: ٢٦.
(٢) السابق، ص: ٣٧.

بثقة متناهية يصف براءة روحه الهاربة من زمانها الراهن إلى زمان أسبق.. تلك الروح المُشِعَّة بالنور المُخَفَّرَة بهالات نورانية، وفي أول الأمر يشتبه عليه أمرها، وبعد حوار سريع يكتشف أنه يحاور براءته التي ودَّعَتْه لتحيا في زمن أجمل.

وفي نصوص أخرى يبدي ضيقه من زمانه بطريقة تقليدية أَلِفَها الشعراء، وهي طريقة لا جديد فيها ولا مثير، غير أنها تؤكد قلة انسجامه مع واقعه، يقول في قصيدته «نجاة»:(١)

يَا زَمَانَ الطَّيْشِ وَدِّعْ ... وارْحَلِي يا ذِكرَيَاتْ
واطْمِسِي يَا بِيْضَ أَيا ... مِي سِنِيني الحَالِكَاتْ
واندُبِي بالأَمْسِ شَخْصاً ... كنتُهُ واليَوْمَ مَاتْ
وانزِعِيهِ يَا أَماني الطْـ ... ـطُهْرِ مِنْ رِجْسِ الحَيَاةْ
أَنتِ دُونَ الخَلْقِ في كَفْـ ... ـفَيْكِ مِفتَاحُ النجَاةْ
فَابعَثِيني مِنْ جَدِيدٍ ... وانْفُضِي عَنِي السُّبَاتْ
أَنتِ أَسمَى أُمْنِيَاتي ... حِيْنَ تَسْمُو الأُمْنِيَاتْ

الطريف أنه يستعين على الزمان بمن تعيش فيه، وتبدو متصالحة مع عجائب الزمان، وكأن يقول: العلة فيّ لا في الزمان، وهذا لا ريب اغتراب مُوحِش وإن بدا مكروراً في الشعر.

(١) السابق، ص: ٤٠.

المبحث الثاني: الاغتراب المكاني:

يتسع مفهوم الاغتراب للغربة بمعناها المعروف، غير أن دواعيها تختلف تماما، ولذا لن أتقصَّى ما قاله الشاعر في غربته من حنين وشكوى، بل سأسعى إلى الوقوف على نصوصه التي قالها وهو في عُقْر داره، لكنه بدا فيها وكأنه في عالم غير عالمه، مع أناس لا يلائمونه ولا يَفهمونه.

هذا النوع من «الاغتراب يمثل نزوحاً من نوع آخر حتى ولو كان الإنسان يعيش في الوطن، فهو يرفض أشياء ويتحداها، ويختلف مع أكثر من أسلوب سيطر على الحياة، وإذا كان في بعض الأحيان لا يملك إلا الصمت، فإنه في أحيان أخرى لا يملك إلا أن يصرح، أو يبوح، أو يئن...، إحساس ضاغط بأن العالم من حوله لا يحس به، وفي ضوء هذا يحس بالاختناق»،[١] ويتنامى لديه «الشعور بافتقاد العلاقات ذات المعنى مع الآخرين، والإحساس بالتعاسة بسبب هذا الافتقاد»،[٢] ومن ثم يتطلع إلى الانعتاق من العالم المحيط به إلى عالم من صنع نفسه.[٣]

ويعد الاغتراب المكاني من الظواهر التي فرضتها الحياة العصرية، وفي هذا النوع من الاغتراب يشعر الفرد بضعف الروابط التي تربطه بالمكان وأهل المكان لدواعٍ عدة، أهمها اختلاف القيم واختلالها، وصراع جيله مع أجيال سابقة أو لاحقة، وهذا في وجهة نظر الاتجاه التحليلي

(١) الغربة والاغتراب والشعر، عبده بدوي، دار قبا للطباعة والنشر،القاهرة، ١٩٩٨م، ص:٨.
(٢) الاغتراب، ريتشارد شاخت، ترجمة: كامل يوسف حسين، ص: ٢١٦.
(٣) يُنظر: نازك الملائكة: دراسات في الشعر والشاعرة، عدد من المؤلفين، شركة الربيعان للنشر والتوزيع، الكويت، ط: ١، ١٩٨٥م، بحث بعنوان «تجربة الاغتراب عند نازك الملائكة»، عبدالله بن أحمد المهنا، ص: ٤٦٥.

الاجتماعي يوصف بـــ اللامعيارية التي تَحدُث حين تتداخل القيم، ويضطرب السلوك، وتفقد الفضائل قداستها، وتبدو النقائص محل قَبول أو جدل.(١)

والحال كهذا يتنامى في وجدان مرهف الحس الشعورُ بالفردانيـــة، ولا يجد بُدّاً من الانكفاء على ذاته بين عوالمه،(٢) وبقَدْر ما يَقوَى شعورُه بذاته يقوى إحساسه بالنفور من هذه الحياة الجديدة، ويحيـــا صـــراعاً لا تكـــون نتيجته التكيف السريع، بل تكون نتيجته المزيد من الاغتراب.(٣)

ومن هذا النمط الاغترابي في شعر اللعبون ما جاء في قصيدة «صُوَاع المَلِك» التي كان يبحث فيها عن ذاته بين المدائن، يقول:(٤)

أنا مِن غابرِ الأَزمـــانِ مـــاضٍ ... أُفَتِّشُ فـــي مَـــدائنِ ذِكْريـــاتي
أُسائلُ كُلَّ مَن لاقَيْـــتُ فيهـــا: ... أَمَا صادَفْتَ في الطُّرُقاتِ ذاتي؟

لا يجد أحداً يدله عليها، فيزداد إلحاحاً في البحث، ويسهب في وصـــف ملامحها كما يسهب فاقد الشيء في وصف ملامح مفقوده، يقول:(٥)

لهـــا عَيْنَـــانِ ناطِقَتَـــانِ حُبّـــاً ... وثَغْـــرٌ مُفْعَـــمٌ بالأُغْنِيَـــاتِ
بِيُسْـــرَاها عُقُـــودٌ مـــن وُرُودٍ ... وفي اليُمْنَـــى بَقَايَـــا أُمْنِيَـــاتِ
جَمِيلةُ طَلْعَـــةٍ بَيْضـــاءُ قَلْـــبٍ ... وتُحسِنُ ظَنَّها فـــي الكائنـــاتِ
تُوَاسي مَن يُقَاسي في المَآسي ... وتَبْكـــي لِلعُيـــونِ الباكيـــاتِ

(١) يُنظر: نظرية الاغتراب من منظور علم الاجتماع، السيد علي شتا، ص: ٢١٥.
(٢) يُنظر: الاغتراب في الشعر العربي الرومانسي، محمد الهادي بوطارن، دار الكتاب الحديث، القاهرة، ٢٠١٠م، ص: ٢٠٠.
(٣) يُنظر: الحنين والغربة في الشعر العربي الحديث، ماهر فهمي، ص: ١١٠.
(٤) مزاجها زنجبيل، فواز اللعبون، ص: ٢٤.
(٥) السابق، ص: ٢٤.

وتَهْمِي رَحمَةً وتَفِيضُ نُوراً يَشُعُّ سَنَاهُ فِي كُلِّ الجِهَاتِ
وتُبْدِي بِشْرَها شِعْراً ونَثْراً ولا تُبْدِي الجِراحَ الخافِياتِ

مع أنها صفات توحي بنرجسية الشاعر الذي جعل من ذاته ذاتا تامة المحاسن شكلا ومعنى، إلا أنه يقرر أنه الآن يتقمص ذاتاً أخرى على النقيض من تلك المفقودة، وأن ذاته الجديدة التي تشكلت مع أهل المكان لا تلائمه، ولذا هو يبحث عن إنسانه القديم في الأماكن القديمة، والمدن النائية.

ومع ذلك لا جواب، ولا حتى عابر سبيل يذكر أنه لمحها تمر من هنا أو من هناك، وكأنها اختفت تماما، وما عاد لها وجود.

لكن الشاعر لا ييأس، ويترك باب الأمل مُوارباً بهذا الختام:(١)

إذا صادَفْتَها يوماً فقُلْ لي وأَنْقِذْني فَدَيْتُكَ مِن شَتَاتي

وفي قصيدته «مدينة التيه» يبحث عن ذاته في كل الدروب، ولكنه كان أكثر ضيقاً وتعبا، يقول:(٢)

«وقَفتُ وما في [البؤسِ] شَكٌّ لواقفٍ» أُسائلُ عني في دروبِ انكساراتي
على كَتِفي أشلاءُ حُلْمٍ مُمَزَّقٍ ومِزْوَدَتي تَحْوي بَقِيَّةَ أشتاتي
يَمُرُّ عليَّ العابرونَ وكلّما سَأَلتُهُمُ عني اسْتَخَفُّوا سُؤالاتي!
وتَرْمُقُني بعضُ العيونِ كأنّما تُخَبِّئُ عن عينِي أليمَ الإجاباتِ!
وها أَنَذا باقٍ على حَدِّ حَيرتي ولا خَبَرٌ عني يُسَكِّنُ رَوْعاتي

(١) مزاجها زنجبيل، فواز اللعبون، ص: ٢٤.
(٢) السابق، ص: ٧.

وعلى الحدين حد الماضي وحد الآتي يقف الشاعر وقفة يائس لا وقفة طامع في العثور على ذاته، كل ما هنالك أن الحلول ضاقت به، ولم يعد قادراً على العودة إلى الماضي، ولا الدخول إلى القادم، يقول في ختام القصيدة:(١)

أنا ها هُنا لا شيءَ أخشَى ضــياعَهُ أبعدَ ضياعِ العُمْرِ أخشَى على شاتي؟!
سأَبْقَى على الحَدَّيْنِ نِصْفي لِمَا مَضَى ونِصْفي لما يأتي وما ليسَ بــالآتي

ومن أعجب اغترابات المكانية ما جاء في قصيدته «شــهادة حضــور وانصراف»، وهي قصيدة قالها يوم دَفْنِ أخيه رحمه الله، وكان أحد أصدقائه المقربين عزاه هاتفيّاً واعتذر عن حضور العزاء لكونه في مكان ناءٍ، غيــر أن الشاعر لم يشعر بغياب صديقه، بل كان معه لحظة بلحظة يحمــل عنــه ويواسيه، وهذا ما جعل الشاعر يظن صديقه مازحاً في دعوى اعتذاره عــن الحضور، يقول اللعبون:(٢)

تُمَــازِحُني أَنْــتَ؟! أَمْ رُبَّمــا مُنَادِي النِّهَايَاتِ قَدْ رَوَّعَــكْ؟!
أَتَزْعُمُ أَنَّــكَ فــي البُعْــدِ لَــمْ تُبَارِحْ إِلَــيَّ هُنَا مَوْضِــعَكْ؟!
فقُلْ لي بِرَبِّكَ مَــنْ ذا الــذي يُشَــابِهُ مَطْلَعُــهُ مَطْلَعَــكْ؟!
لَمَحْتُك وَقْتَ احْتِشَادِ الــوَرَى تُنَادِي، وقُلْتُ: ادْنُ كي أَسْمَعَكْ
وجِئْتَ إِلَــيَّ وقَاسَمْتَنِــي دُمُوعي التي مازَجَتْ أَدْمُعَــكْ
أَلَــمْ تَــكُ لَــحْظَتَها واقِفــاً جِوَاري تُدارِي الذي أَوْجَعَكْ؟!

وأمام صمت صديقه الذي لم يدر كيف يجيب عــن أســئلة واضــحة الإجابات.. أمام هذا الصمت يعود الشاعر ويستحلف صديقه ببيــت ختــامي

(١) مزاجها زنجبيل، فواز اللعبون، ص: ٧.
(٢) السابق، ص: ٨٩.

يتضمن إحساس الشاعر بأنه بدأ يدرك أن وعيه يُلَبِّس عليه بسبب سطوة الحزن، يقول:[١]

بِرَبِّكَ أَنْتَ؟! أَمِ الحُزْنُ قَدْ تَقَمَّصَ طَيْفَكَ وَاسْتَرْجَعَكْ؟!

ومن أقوى اغترباته المكانية ادعاؤه أنه يحيا في بيت طيني في قرية نائية عاش فيها أبوه وأجداده، يقول في قصيدة «غريب في زمن بعيد»:[٢]

أنا الغنيُّ هنا بئري ونخلُ أبي ... ولي مِن الزادِ ما تُلقي شماريخي
لم تُنسِني ناطحاتُ السحْبِ مُنقلَبي ... وما مَحا عصرُكمْ أمجادَ تاريخي
أنسابُ مِن بين أطلالي إلى كُتُبي ... وأرتدي سَمْتَ شيخٍ قبلَ تشييخي
في بيتيَ الطينِ أستعلي على شُهُبي ... وأجتلي في مَدارِ الروحِ مِرّيخي

إنه يكشف خبيئة نفسه بهذه القصيدة، وهي خبيئة تؤكد انفصالَه عن مكانه الراهن، وتؤكد تَوْقَه إلى مكان قديم مفعم بالأصالة والثبات.. هو لم يعش في المكان القديم، ولكن المكان القديم يعيش فيه.

(١) مزاجها زنجبيل، فواز اللعبون، ص: ٨٩.
(٢) السابق، ص: ١٧.

الخاتمة

وبعد، فآمل حقّاً أن أكون وُفِّقتُ في الوقوف على هذه النزعة الاغترابية في مدونة شاعر يعلن كثيراً أنه ما زال يبحث عن ذاته في زحام الحياة، وبين ضجيج الأمكنة والأزمنة، مع أن العارف الملم بأحوال الشاعر عن قرب قد يعجب من تمكن هذه الرؤى في شعره على الرغم من مسيرته الموفقة على عدة مستويات، ويبدو أن طبيعة الشعراء لا تقنع بحال، ولا يرضيها إلا الكمال المطلق.

ومهما يكن فإني خلصت من هذه الدراسة إلى جملة نتائج جدير بي ذكر أبرزها:

١. ازدياد وعي الشاعر بذاته وماضيه وحاضره يدفعه إلى الشعور بالاغتراب في محيط لا يكاد يجد فيه مَن يشابهه.

٢. الامتلاء بمخزون ثقافي تراثي من أعظم مسببات تهييج الشعور بالاغتراب، فالماضي في الغالب مثالي، والواقع الذي يعيشه الشاعر لا يبدو له كذلك.

٣. من المألوف أن تُطِلَّ نزعة اغترابية في الشعر التأملي، أمّا أن تُطِلَّ –وبإلحاح– في الشعر الوجداني، وفي الشعر الاجتماعي، فهذا مما يؤكد تجذر هذه النزعة في وعي الشاعر، وهذا ما تجسد بوضوح في مبحثَي الشعر الوجداني، والشعر الاجتماعي.

٤. تفوُّق الاغتراب الزماني على الاغتراب المكاني في اغترابيات الشاعر، وهذا ملمح يؤكد افتقاد الشاعر لإحساس الانسجام مع الحاضر رغم كل ما في الحاضر من تنوع ورخاء.

٥. لم يكن الزمان المفقود محدد المعالم، ولا المكان أيضا، كل ما هناك أن الشاعر لم يكن متصالحاً مع الظرفين: زمانه ومكانه.

وإن كان لي من توصيات فأوجزها في الآتي:

١. دراسة اغترابيات الشاعر في كامل إنتاجه دراسة موسعة بعد حقبة زمانية أخرى، ولا سيما أن للشاعر نصوصاً اغترابية وافرة في قصائد ومقطعات لم تَحْظَ بالنشر بعد.

٢. في نصوص الشاعر أصالة لغوية جديرة بوقوف الباحثين عليها.

٣. من الجدير بالباحثين دراسة التناص في شعره، فله حضور كثيف، وتنوع ظاهر.

٤. الوقوف على آليات توظيف الشاعر للتراث؛ إذ إنه كثيراً ما يستدعي شخصيات التراث وأحداثه، وينوِّع في مصادر استحضاره تنويعاً كثير الدلالات، ويوظفها توظيفات تحتاج إلى رصد ودراسة.

هذا وبقي لي أن أحمد الله على نعمائه، وأسأله سبحانه أن ينفعني وغيري بما علمت وعملت، وأصلي وأسلم على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه.

ثبت المصادر والمراجع

أ. المصادر:

١. مزاجها زنجبيل، فواز اللعبون (قدموس)، النادي الأدبي الثقافي في حائل، حائل، ط: ١، ١٤٤٠هـ- ٢٠١٩م.

ب. المراجع:

١. ابن لعبون: حياته وشعره، أبو عبدالرحمن بن عقيل الظاهري، نشر مؤسسة جائزة عبدالعزيز البابطين للإبداع الشعري، الكويت، ط: ١، ١٩٩٧م.
٢. الاتجاه الوجداني في الشعر العربي المعاصر، د. عبدالقادر القط، دار النهضة العربية، بيروت، ط:٢، ١٤٠١هـ.
٣. الاتجاهات الأدبية في العالم العربي الحديث، أنيس المقدسي، دار العلم للملايين، بيروت، ط: ٧، ١٩٨٢م.
٤. أدب الغرباء، أبو الفرج الأصبهاني، تحقيق: صلاح الدين المنجد، دار الكتاب الجديد، بيروت، ط: ١، ١٩٧٢م.
٥. الإشارات الإلهية، أبو حيان التوحيدي، تحقيق: عبدالرحمن بدوي، الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة، ١٩٩٦م.
٦. الاغتراب النفسي، إبراهيم عيد، د. ن، القاهرة، د. ط، ١٩٩٠م.
٧. الاغتراب في أدب حليم بركات، بسام فرنجية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ط: ١، ١٩٨٣م.
٨. الاغتراب في الثقافة العربية: متاهات الإنسان بين الحُلم والواقع، حليم بركات، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ط: ١، ٢٠٠٦م.
٩. الاغتراب في الشعر التركي والعربي المعاصر، د. عبدالرزاق بركات، دار القلم، الكويت، ط:١، ٢٠٠٧م.

١٠. الاغتراب في الشعر العربي الرومانسي، محمد الهادي بوطارن، دار الكتاب الحديث، القاهرة، ٢٠١٠م.
١١. الاغتراب في الفن، عبدالكريم هلال خالد، منشورات جامعة قار يونس، بنغازي، ط: ١، ١٩٩٨م.
١٢. الاغتراب في شعر نازك الملائكة، د. ساجدة التميمي، دار غيداء للنشر والتوزيع، عَمّان، ط: ١، ١٤٣٧هـ- ٢٠١٧م.
١٣. الاغتراب وأزمة الإنسان المعاصر، د. نبيل سكندر، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ١٩٨٨م.
١٤. الاغتراب والتطرف نحو العنف: دراسة نفسية اجتماعية، محمد عبدالمختار، دار غريب، القاهرة، ١٩٩٨م.
١٥. الاغتراب: دراسة تحليلية لشخصيات الطاهر بن جلون الروائية، يحيى العبدالله، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط:١، ٢٠٠٥م.
١٦. الاغتراب: سيرة ومصطلح، محمود رجب، دار المعارف، ط: ٢، ١٩٨٦م.
١٧. الاغتراب، ريتشارد شاخت، ترجمة: كامل يوسف حسين، ط: ١، ١٤٠١هـ- ١٩٨٠م.
١٨. بحوث ومقالات في تاريخ التُّوَيْم، سعود بن عبدالله الحزيمي، دار جداول للنشر والتوزيع، بيروت، ط: ١، ٢٠٢١م.
١٩. تاج العروس من جواهر القاموس، الزَّبِيدي، تحقيق: لجنة من مجموعة محققين بإشراف وزارة الإعلام الكويتية، مطبعة حكومة الكويت، الكويت، ط:٢، ١٤١٤هـ- ١٩٩٤م.
٢٠. التحليل الاجتماعي للأدب، السيد ياسين، الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة، ط: ١، ٢٠٢٠م.

٢١. التمرد والغربة في الشعر الجاهلي، عبدالقادر زيدان، دار الوفاء، الإسكندرية، ط:١، ٢٠٠٣م.
٢٢. تهذيب اللغة، الأزهري، الدار المصرية للتأليف والنشر، القاهرة، ١٩٦٤م.
٢٣. الحب والاستلاب: دراسات في علم الشخصية المستلبة، محمد شاويش وحسين شاويش، دار الكنوز الأدبية، بيروت، ط:١، ١٩٩٥م.
٢٤. الحنين والغربة في الشعر العربي الحديث، ماهر فهمي، معهد البحوث والدراسات الأدبية، بيروت، ط: ١، ١٩٧٠م.
٢٥. دراسات في سيكولوجية الاغتراب، عبداللطيف خليفة، دار غريب، القاهرة، ط: ١، ٢٠٠٣م
٢٦. دليل الأدباء بدول مجلس التعاون لدول الخليج العربية، إعداد: دار المفردات، نشر دار المفردات، الرياض، ط: ١، ١٤٢٩هـ- ٢٠٠٨م.
٢٧. ديوان ابن الرومي، تحقيق: حسين نصار، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٧٦م.
٢٨. الرومانتيكية، د. محمد غنيمي هلال، دار العودة، بيروت، ١٩٨٦م.
٢٩. الرؤية والعبارة: مدخل إلى فهم الشعر، د. عبدالعزيز موافي، الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة، ط: ١، ٢٠٠٨م.
٣٠. سحر الموضوع: عن النقد الموضوعاتي في الرواية والشعر، د. حميد لحمداني، منشورات دراسات سال، فاس (المغرب)، ط: ٢، ٢٠١٤م.
٣١. سُدَيْر في عيون الشعر، معاذ بن عبدالله أبا بطين، مؤسسة عبدالله بن محمد أبا بطين للتراث، الخُبَر، ط: ١، ١٤٤١هـ.
٣٢. شرح ديوان أبي الطَّيِّب المتنبي، المنسوب إلى أبي البقاء العُكْبَري (توفي: ٦١٦هـ)، تحقيق: مصطفى السقا وإبراهيم الأبياري وعبدالحفيظ شلبي، دار المعرفة، بيروت، ١٩٧٨م.

٣٣. الشعر والتأمل، روستريفور هاملتون، ترجمة: محمد مصطفى بدوي، مراجعة: د. سهير القلماوي، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة، القاهرة، ط: ١، د.ت.
٣٤. ظاهرة الاغتراب عند شعراء المعلقات، مي خليف، دار الثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة، ١٩٩١م.
٣٥. عابر الأزمنة: تأملات في سجل قُدْموس، فاطمة بنت عبدالله، دار المفردات، الرياض، ط: ١، ١٤٤١هـ- ٢٠٢٠م.
٣٦. علم الطباع، سامي الدروبي، دار المعارف، القاهرة، ط:١، ١٩٦١م.
٣٧. الغربة والاغتراب والشعر، عبده بدوي، دار قبا للطباعة والنشر، القاهرة، ١٩٩٨م.
٣٨. في علم اجتماع الأدب، محمد كسبر، والسعيد الورقي، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ١٩٩٥م.
٣٩. قاموس الأدب والأدباء في المملكة العربية السعودية، إعداد: دارة الملك عبدالعزيز، نشر الدارة، الرياض، ط: ١، ١٤٣٥هـ.
٤٠. كتاب العين، الخليل الفراهيدي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، د.ت.
٤١. اللامنتمي، كولن ولسون، ترجمة: أنيس حسن، دار الآداب، بيروت، ١٩٨٩.
٤٢. لسان العرب، ابن منظور، دار صادر، بيروت، ط:٣، ١٤١٤هـ.
٤٣. مجموعة أبحاث ملتقى ابن لعبون، إعداد: مؤسسة جائزة عبدالعزيز البابطين للإبداع الشعري، نشر المؤسسة، الكويت، ط: ١، ١٩٩٧م.
٤٤. المستطرَف في كل فن مستظرَف، أبو الفتح الأبشيهي، تحقيق: د. مفيد قميحة، دار الكتب العلمية، بيروت، ط: ٢، ١٤٠٦هـ- ١٩٨٦م.

٤٥. مضمرات النص والخطاب، سليمان حسن، مطبعة اتجاه الكتاب العرب، دمشق، ١٩٩١م.
٤٦. المظاهر الاغترابية في الشخصية العربية، علي وطفة، دراسة منشورة في مجلة الفكر، الكويت، المجلد: ٢٧، العدد: ٢، أكتوبر ديسمبر ١٩٩٨م.
٤٧. معجم البابطين للشعراء العرب المعاصرين، إعداد: مؤسسة جائزة عبدالعزيز سعود البابطين للإبداع الشعري، نشر المؤسسة، الكويت، ط: ٢، ٢٠٠٢م.
٤٨. معجم مقاييس اللغة، ابن فارس، تحقيق: عبدالسلام هارون، دار الجيل، بيروت، د.ت.
٤٩. من أزاهير الرياض: أحاديث من الأدب والنقد، د. سيِّد إبراهيم، من دراسة بعنوان: الشعر والاغتراب، النادي الأدبي بالرياض، ط:١، ١٤٢٤هـ- ٢٠٠٤م.
٥٠. نازك الملائكة: دراسات في الشعر والشاعرة، عدد من المؤلفين، شركة الربيعان للنشر والتوزيع، الكويت، ط: ١، ١٩٨٥م.
٥١. نظرية الاغتراب من منظور علم الاجتماع، السيد علي شتا، عالم الكتب للنشر والتوزيع، الرياض، ط: ١، ١٤٠٤هـ- ١٩٨٤م.
٥٢. نظرية القِيَم في الفكر المعاصر، د. صلاح قنصوة، الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة، ط: ١، ٢٠٢٠م.
٥٣. النقد الموضوعاتي، سعيد علوش، شركة بابل، الرباط، ط: ١، ١٩٨٩م.

فهرس الموضوعات

م	الموضوع	الصفحة
١-	ملخص	١٩٥
٢-	Abstract	١٩٦
٣-	مقدمة	١٩٧
٤-	التمهيد:	٢٠١
٥-	أ. إضاءة على الشاعر :	٢٠١
٦-	ب. حدود الاغتراب :	٢٠٤
٧-	الفصل الأول: تجليات الاغتراب:	٢١٠
٨-	المبحث الأول: في الشعر التأملي:	٢١٠
٩-	المبحث الثاني: في الشعر الوجداني:	٢١٨
١٠-	المبحث الثالث: في الشعر الاجتماعي:	٢٢٨
١١-	الفصل الثاني: أنماط الاغتراب:	٢٤٠
١٢-	المبحث الأول: الاغتراب الزماني:	٢٤٠
١٣-	المبحث الثاني: الاغتراب المكاني:	٢٤٥
١٤-	الخاتمة	٢٥٠
١٥-	ثبت المصادر والمراجع	٢٥٢
١٦-	فهرس الموضوعات	٢٥٧